التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 159 السنة التاسعة عشر - فبراير 2021

زيادة الـ 3% الحق المُلغى

موقفنا

ملف التقاعد

خلال السنوات الماضية ظلّ ملف التقاعد وأوضاع هيئة التأمين موضوعاً محورياً بين الملفات المعيشية الحيوية التي أولاها المنبر التقدمي جلّ اهتمامه، ومعه في ذلك كل المؤسسات والهيئات والتنظيمات السياسية والنقابية المعنية بالأمر، وحول هذا الموضوع نظمّنا عدداً من ورش العمل وحلقات المناقشة والندوات العامة، التي شارك فيها مختصون واقتصاديون ونقابيون ونواب، بمن فيهم عدد من كوادر التقدمي في المجالات ذات الصلة.

وفي هذا المجال قدّم «التقدمي» مرئياته بخصوص تجاوز أزمة صناديق التقاعد، وتمّ نشر هذه المرئيات على نطاق واسع عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكان لها أصداء ايجابية على المستوى الشعبي، لأنها شكّلت خلاصة للمناقشات الدائرة في المجتمع، ورؤيتنا المنطلقة من برنامجنا السياسي، ومن نظرتنا الاجتماعية الاقتصادية لما يجب أن تكون عليه الأحوال في وطننا.

وخصصت نشرة "التقدمي" في أعدادها الشهرية ملفات، وأفردت صفحاتها لمقالات ودراسات تتصل بالموضوع، فلا يكاد يخلو عدد من أعدادها من مقال أو مجموعة مقالات أو حتى ملفات حوله، ناهيك عن الأخبار والأنشطة المتصلة به.

ويعود اهتمام المنبرالتقدمي بالموضوع إلى بدايات عودة الحياة البرلمانية في العام 2002، حيث تصدّت، يومها، كتلة "الوطنيين الديمقراطيين" المدعومة من "التقدمي" لهذا الملف، وشاركت بفاعلية في لجنة التحقيق في أوضاع هيئة التأمينات، التي كشفت حجم التجاوزات الخطيرة في الهيئة، وحذّرت من العواقب الخطيرة إن لم يتم معالجة الخلل، وفي ذلك الحين بادر "التقدمي" إلى إطلاق عريضة شعبية وقعّ عليها الآلاف من المواطنين تدعم العمل البرلماني بخصوص هذا الملف.

وفي الفصل التشريعي الحالي واصلت "كتلة تقدّم" البناء على ما تراكم من خبرات، وما تبلور من رؤى وأفكار حول ملف التقاعد، الذي نال منها كل الاهتمام، وقدّمت في آخر مؤتمر صحفي لها رؤية متكاملة حوله، تتسق مع مواقفها المعروفة في تبني قضايا الجماهير، خاصة الفئات محدودة الدخل التي تزداد معاناتها، مع تفاقم الكثير من المشاكل المعيشية.

إن كل التحذيرات التي أطلقناها، ومعنا في ذلك أوسع طيف سياسي ومجتمعي يشاطرنا في الرؤية حول أوضاع ملف التقاعد، تَمثل أمامنا اليوم بكل وضوح، وأكثر من اي وقت مضى، لأنه لم يجر الاكتراث بمقترحات الحلول الواقعية والمسؤولة التي جرى تقديمها على مدى سنوات، ولم تتم محاسبة المسؤولين عن الفساد في الهيئة، والعابثين بأموالها، والمتضرر الأكبر مما وصلنا إليه هم المتقاعدون، خاصة منهم ذوي الرواتب التقاعدية المحدودة، وهو أمر ستكون له أوخم العواقب الاجتماعية إن لم يتم تدارك الوضع.

التقدمي

البطالة ومشروع التوظيف الجديد 05

ماذا يرسم لهيئة التأمين الاجتماعي 07

الميزانية والسياسة العامة للدولة 10-11

بمناسبة العام الميلادي الجديد

التقدمي: نتطلع لمبادرة تلامس تطلعات المواطنين تنهي حالة المراوحة

بمناسبة حلول العام الميلادي الجديد، دعى المنبر التقدمي إلى أن يشهد العام الجديد مبادرة يدشن عبرها صاحب السمو ولي العهد رئيس الوزراء عهده الجديد بخطوات تلامس نبض المواطنين وتطلعاتهم وتعزز مسيرتنا الوطنية، وتقطع الطريق بشكل حاسم ونهائي على من لا يريدون لنا سوى المراوحة وإبقاء الوضع على ما هو عليه.

وقال التقدمي في بيان له بهذه المناسبة: «نتطلع أن يشهد العام الجديد خطوات تنسجم مع نبض وأوجاع أهالي الموقوفين والمعتقلين لدواعي حرية الرأي أو النشاط السياسي»، وتابع: «كما نتطلع إلى خطوات تعزز من مسيرة تجربتنا البرلمانية وتوسيع صلاحيات المجلس النيابي في التشريع والرقابة والمساءلة ومحاربة الفساد».

وأمل البيان ان: «يشهد العام الجديد خطوات فعلية وملموسة على طريق التعامل الأمثل والجدي مع تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، ووضع المحاربة الفعلية للفساد وصون المال العام ضمن أهداف وأولويات العام 2021»، مشدداً على: «أهمية إيجاد المعالجات الصائبة لمواجهة البطالة في أوساط شباب البحرين، والنظر في كل ما ينهض بواقع التعليم في البحرين وربطه بسوق العمل».

وأضاف البيان بأن: «الآمال معقودة من جهة أخرى على الرؤى والخطط والاجراءات الواضحة والمدروسة الواجب اتخاذها في مواجهة الأزمة المالية وتفاقم الدّين العام والعجز في الموازنة العامة مع التأكيد على أهمية تطوير أساليب إدارة الدّين العام والسيطرة على المديونية كهدف استراتيجي»، مؤكداً غلى أن «أي معالجات في هذا الشأن يجب ألا تكون على حساب الطبقات الشعبية التي تئن حالياً من أعباء تثقل كاهلها، وأن برنامج عمل الحكومة بشقيه الاقتصادي والاجتماعي يجب أن يأخذ ذلك في الاعتبار».

وجدد البيان رفض التقدمي: «كل أشكال الفرقة والانقسام بين أبناء هذا الوطن»، داعياً إلى: «التعاطي بمسؤولية ووعي وإدراك لدقة المرحلة التي نمر بها مع ضرورة المواجهة الجادة لكل من يسعى إلى ذلك، ولكل من يريد تحقيق أي هدف على حساب مصلحة الدولة والوطن والمواطن»، مشدداً على أن: «مصلحة البحرين وشعبها هي أكبر وأهم من كل الاعتبارات والأشخاص والمصالح».

مشاركون في ملتقى التقدمي «قراءة في الميزانية العامة...التطلعات والهواجس»:

تخفيض مصروفات التعليم إلى 5% وتأثير سلبي على الفئات محدودة الدخل

كشف المحلل الاقتصادي الدكتور جعفر الصائغ أن الميزانية العامة المقبلة للدولة خفضت المصروفات العامة لقطاع التعليم لـ 5٪ مقارنة بالعام 2015 حيث كانت تخصص الدولة ما نسبته 8،8٪ لذات القطاع. وبيّن الصائغ بأن دولاً مجاورة كالإمارات تخصص في موازنتها ما نسبته 18٪ لقطاع التعليم، فيما تخصص المملكة العربية السعودية نسبة 18،8٪.

وقال الصائغ في ندوة ضمن ملتقى التقدمي بعنوان "قراءة في الميزانية العامة... التطلعات والهواجس"، بأن: "الميزانية العامة هي الأداة الاقتصادية الوحيدة الفعالة التي تستخدمها الدولة للتأثير على الاقتصاد الكلي فمن خلالها يتم ضخ السيولة في الاقتصاد وتنشيط الحركة التجارية، وخاصة في حالة الركود الاقتصادي"، مشيراً إلى أنه: "من خلال هذه الأداة يمكننا معرفة التوجه العام للدولة واهتماماتها وأهدافها الاقتصادية والاجتماعية خلال السنتين الماليتين القادمتين".

وأوضح الصائغ أنه: "عندما يكون الاقتصاد في حالة ركود لأي سبب كان نتوقع أن تقوم الدولة بزيادة حجم المصروفات لمواجهة الركود وتنشيط الاقتصاد، كما نتوقع أن يتم خفض الضرائب والرسوم الحكومية لغرض زيادة الدخل والقوة الشرائية لأفراد المجتمع لغرض زيادة الاستهلاك وزيادة الحركة التجارية"، واستدرك: "وما نراه هو انخفاض مستمر في المصروفات العامة في فترة الركود ورفع حجم الضرائب وقد يكون أحد الأسباب لذلك هو استمرار انخفاض الايرادات النفطية والأضرار الناجمة عن جائحة وباء كورونا".

محدودو الدخل

من جانبه، قال الكاتب في الشؤون الاقتصادية الدكتور محمد الكويتي إن: "الميزانية هي أداة اقتصادية سياسية اجتماعية، مثل بيان سياسي صادر من الحكومة ينبغي أن تقرأ على هذا الأساس، كونها خطة الحكومة لسنتين مقبلتين".

وتابع: "كما تعتبر الميزانية أداة سياسية تعكس تأثير الحكومة في الاقتصاد والدولة، وهي أداة خلق توازن في الدولة بين الطبقات من أجل التوزيع العادل، كما انها تجيب عن توجه الدولة الحاضر والمستقبلي وإلى أين ستتجه". وأشار الكويتي إلى أن: "الملاحظ من خلال الميزانية العامة للدولة خلال العامين المقبلين قصور واضح فيما يتعلق بتنوع مصادر الدخل، إضافة إلى خفض المبالغ المرصودة للتعليم والصحة عما كانت عليه في العام 2019 على سبيل المثال". وأضاف:" كما إن الميزانية شهدت تراجع عن مستوى تحسين معيشة المتقاعدين وتوفير بعض المواد الغذائية، وجرى تخفيض الدعم للإسكان"، معتبراً بأن: "خفض المصروفات التي شهدتها الميزانية تؤثر على فئات اجتماعية واسعة، وفي الوقت الذي يقع على الدولة حماية الفئات محدودة الدخل مما يترتب عليها البحث عن مخارج لدعم تلك الفئات وحمايتها". وأوضح الكويتي بأن: "الغاية من الميزانية هو تحقيق التنمية البشرية وتوفير الدعم للفئات محدودة الدخل دون إغفال للنظرة المستقبلية للسنوات التالية"، وتابع: "كل تلك الأمور لم تحقق في الميزانية المنظورة حالياً كما أنها لم تلبِ احتياجات الشباب والباحثين عن العمل".

جمعيات سياسية: دعوة إلى البناء على النتائج الإيجابية للقمة الخليجية وفتح آفاق جديدة تخدم شعوب المنطقة

رحبت الجمعيات السياسية (التقدمي، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، التجمع الدستوري، الوسط العربي، والمنبر الإسلامي) بنجاح القمة الخليجية الحادية والأربعين وما عكسته نتائجها من جدية في إزالة ما يعكّر الصفو الخليجي ويهدد أمن واستقرار المنطقة، ودعت هذه الجمعيات إلى البناء على هذه النتائج المبشرة بتجاوز كل المعوقات والتركيز على ما يلبي طموحات شعوب دول مجلس التعاون الخليجي.

وأشارت الجمعيات في بيان أصدرته بهذا الخصوص إلى أهمية الدعوة التي طرحها سمو ولي العهد رئيس الوزراء والداعية إلى تعزيز الحوار الخليجي واستهلال صفحة مشرقة في العلاقات الأخوية وبما يقّوي مسيرة مجلس التعاون الخليجي وتعزيز التضامن والتكاتف.

وأكدت الجمعيات السياسية على ان تدشن القمة الخليجية عهداً يفتح آفاقاً جديدة في مسيرة العمل الخليجي المشترك على كل الصعد بما يخدم دول مجلس التعاون وشعوبها ويدفع بعجلة التنمية والانتقال من مرحلة التعاون إلى مرحلة التكامل الحقيقي الذي يمهد للاتحاد الخليجي الذي ينهض بواقع شعوب المنطقة.

كما رحبت الجمعيات بما أكدّ عليه البيان الختامي من مواقف ثابتة تجاه الإرهاب والتطرف أياً كان مصدره ونبذه لكل أشكاله وصوره، والعمل على تجفيف منابع تمويله، ورفض التدخلات الأجنبية في شئون المنطقة، مشيدة بما أكدت عليه القمة تجاه القضية الفلسطينية واعتبارها قضية العرب والمسلمين الأولى، ودعمها للسيادة الدائمة للشعب الفلسطيني على جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتأسيس الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وترى أن هذا التأكيد مرحب به على الصعيدين الخليجي والعربي خاصة أنه يأتي في وقت تبذل فيه محاولات مستميتة من قبل عدة أطراف لتصفية هذه القضية بأي شكل من الأشكال.

66 عاماً .... صفحات مضيئة في تاريخ البحرين

تحل علينا في الخامس عشر من فبراير/ شباط الجاري الذكرى السادسة والستون لتأسيس أول حزب ماركسي في البحرين والخليج العربي، عندما تداعت كوكبة من العمال والمثقفين الثوريين لاجتماع في أحدى ضواحي المنامة في 15 فبراير من عام 1955، لتأسيس جبهة التحرير الوطني البحرانية لتؤطر العمال والكادحين في تنظيم ماركسي لينيني سري، لتنخرط في النضال الوطني ضد المستعمر البريطاني والرجعية في فترة من أهم الفترات والمحطات النضالية في تاريخ البحرين السياسي، حيث كانت تقود هيئة الاتحاد الوطني (1954/1956) نضال شعبنا ضد الاستعمار البريطاني قبل أن يجهض عليها بعد العدوان الثلاثي على مصر عبدالناصر 1956، ويتم اعتقال وسجن ونفي قادة وكوادر الهيئة في نوفمبر من عام 1956 لتطوي صفحة من صفحات النضال الوطني المجيد في بلادنا، وتبدأ مرحلة جديدة من النضال والكفاح الوطني تقودها جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية في البحرين، كانت أول شعارات الجبهة التي كتبت على الجدران يسقط الاستعمار وإطلاقا سراح المعتقلين والسجناء السياسيين وإعادة المنفيين وغيرها من الشعارات لتبدأ المسيرة النضالية للجبهة طوال تلك العقود من السنين والعديد من المطالب تحققت بفضل تضحيات مناضلي الجبهة والحركة الوطنية البحرينية من أجل الاستقلال الوطني والحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية قدمت قوافل من المناضلين الشهداء والمعتقلين والسجناء السياسيين والمنفيين والمفصولين من العمل وبفضلها نشرت الأفكار واالثقافة التقدمية في البلاد .

في الذكرى 66 لتأسيس جبهة التحرير الوطني البحرانية، المجد والخلود لشهداء الجبهة وسائر مناضلي الجبهة من الراحلين بفضل تضحياتهم استمرت مسيرة الجبهة وظلت رأيتها ترفرف في سماء البحرين.

فضفضة

استغلال «تمكين»

عيسى الدرازي

ما يقوم به بعض أصحاب الأعمال لا يمكن وصفه إلا على أنه جشع، ورغبة شرهة في الكسب دون أي اعتبارات اجتماعية أو حتى أخلاقية، الرغبة الجامحة في الكسب بأي بطريقة، ومنها ما يقوم به بعض أصحاب الشركات من توظيف حديثي التخرج من الشباب لمدة عامين ويقومون بتدريبهم على العمل واعطائهم مهامهم وواجباتهم، وبعدهما يتم انهاء عقود أغلب هؤلاء، لأسباب عادة ما تكون واهية في ظاهرها، اما ما بطن من أسباب ذلك، فهو انقضاء فترة دعم صندوق العمل "تمكين".

ورغم ان إنهاء عقد محدد المدة بسنتين قانوني في ظاهره، لكن الطريقة التي ينهجها القائمون على تلك الشركات غير أخلاقية بلا شك، وإلا ماذا يعني توظيف شاب حديث التخرج وهو في مقتبل العمر المهني وبعد انتهاء دعم «تمكين» يتم التخلي عنه وإعادة الكرة مع آخرين من أجل الحصول على الدعم من جديد.

يركز برنامج دعم الأجور الذي أطلقته «تمكين» على توفير نوعين من الدعم المادي، الأول تدريب الموظفين والعمال على تحسين كفاءاتهم ليحققوا أعلى معايير الإنتاجية، والثاني دعم أو زيادة أجور الموظفين، في مسعى لمساعدة المنشئات على خفض تكاليف التوظيف أملاً في تنميتها.

وتشير إدارة تمكين إلى أن:" برنامج دعم الأجور يتماشى مع أهداف البرنامج الوطني للتوظيف وذلك بهدف تشجيع المؤسسات على توظيف المزيد من حديثي التخرج، وتعزيز ثقافة زيادة الأجور، والتأكيد على أهمية دور التدريب في زيادة الإنتاجية إلى جانب تخفيف جزء من النفقات على المؤسسات لمساعدتها على النمو والتطور والمساهمة في الاقتصاد الوطني".

هدف صندوق العمل النبيل في دعم حديثي التخرج وتمكينهم من الولوج لسوق العمل كعمالة وطنية مساهمة بكل فعالية في التنمية، يواجهه جشع سافر من بعض الشركات والمؤسسات التجارية التي تعمل كالعلقات في امتصاصها لقدرات وامكانيات وجهود هذه الدماء الحديثة المندفعة بكل الأماني والطموح للحياة العملية.

هناك مسؤولية أخلاقية ووطنية يجب أن يحملها بكل أمانة أصحاب الأعمال ومؤسسات القطاع الخاص في دعمها لتوظيف وتمكين العمالة الوطنية، هذه المسؤولية يجب تأطيرها في تشريعات حمائية من شأنها حفظ حقوق حديثي التوظيف والنظر في أسباب إنهاء عقودهم، كما يجب وضع تلك المؤسسات تحت الملاحظة الدقيقة، للبحث عما يمكن وصفه بالنمط في عمليات التوظيف وانهاء العقود من أجل

في مرئياتها لإصلاح صناديق التقاعد والميزانية العامة

«تقدّم» : إيقاف توجيه استثمارات «التأمين» وفرض ضريبة دخل على أصحاب الملايين

دعت كتلة «تقدّم» البرلمانية إلى: «إيقاف كافة أشكال التدخل في استثمارات الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي وتوجيهها في غير صالح الهيئة، واسترجاع أموال المشتركين التي صرفت في استثمارات بائت بالفشل». كما حثت الكتلة على: «إدراج العمالة الوافدة ضمن مشتركي الصندوق، على أن يبدأ ذلك بالشركات الكبيرة التي يفوق عدد العمالة الوافدة فيها ٢٥٠ عاملاً».

- استرجاع أموال المشتركين التي صرفت في استثمارات باءت بالفشل
- إعادة مبالغ شراء سنوات الخدمة للموظفين التنفيذين في الهيئة
- خلق فرص عمل أمام المواطنين وخاصة فئة الشباب
- زيادة نسبة مساهمة ممتلكات في الميزانية بنسبة ٥٠ ٪ على الأقل

وشددت الكتلة في مؤتمر صحفي للإعلان عن مرئياتها بشأن الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي والميزانية العامة على:» أهمية وضع حدٍ أعلى للمعاش التقاعدي للقطاع العام بحيث لا يتعدى 3 آلاف دينار»، مشيرة إلى أن: «تحديد سقف لمعاشات المتقاعدين معمول به في القطاع الخاص وفي دول شقيقة كالكويت».

وطالبت «تقدّم» بـ «إعادة الاشتراكات لما كانت عليه حين إنشاء نظام التقاعد في القطاع الخاص مما سيساهم في زيادة إيرادات الصندوق بنسبة قد تصل لـ 6٪ بما يعادل ثلث دخل الصندوق من الاشتراكات حالياً»، وبفتح الاستثمار للمشاركة في المشارع السيادية بنسبة أعلى من النسبة الحالية البالغة 12٪ ، إلى ما يفوق الـ 50٪ وربطها بالتمثيل في مجلس الإدارة، مما يعطي الهيئة سلطة أكبر في عملية اتخاذ القرار، وتوجيه هذه الاستثمارات للمشاريع ذات القيمة المضافة التي توفر فرص عمل للمواطنين».

وأكدت الكتلة على: «الاستغلال الأمثل لأراضي الهيئة، ومراجعة مستوى إيجار المكاتب الفخمة للهيئة والرجوع للمكاتب في مباني الهيئة السابقة، وكذلك ربط الهيكل الوظيفي للهيئة بديوان الخدمة المدنية»، إضافة إلى: «مراجعة سياسات المكافئات السنوية، واسترجاع مبالغ شراء سنوات الخدمة للموظفين وخاصة التنفيذيين في الهيئة»، داعية إلى:» تسوية المعاش على معدل 5 سنوات متى ما زاد الأجر خلالها عن 150٪ كما هو في القطاع الخاص، وإلغاء سنوات الخدمة الاعتبارية، والتوقف عن جميع برامج التقاعد المبكر بالخصخصة والتقاعد الاختياري وبرامج اعادة الهيكلة في الشركات الحكومية».

واعتبرت الكتلة بأنه: «من أجل إعادة الإعتبار للصناديق التقاعدية لا بد من معالجة الوضعية غير الصحية في سوق العمل ومعالجة اختلالاته وإحلال العمالة الوطنية في جهاز الدولة والشركات الحكومية، ومعالجة تدني الأجور بتشريع حد أدني للأجور ليتلاءم مع تكاليف المعيشة، وإيقاف عمليات وبرامج التسريح المتعددة في وزارات الدولة والشركات الحكومية».

ضرائب الشركات والأراضي الفضاء

على صعيد آخر، قالت الكتلة في مرئياتها بشأن الميزانية العامة للدولة بأنه: «لابد من وجود توجهات واضحة في الموازنة العامة لتحفيز الاقتصاد والاستمرار في خلق فرص عمل أمام المواطنين وخاصة فئة الشباب»، داعية إلى: «ايجاد قنوات مبتكرة لزيادة الايرادات غير النفطية»، وحثت على: «أن تكون هناك ضريبة على التحويلات المالية لخارج البلاد بالنسبة للأفراد والشركات، وأن تكون تدريجية في المقام الأول، وإيجاد ضريبة مقبولة وتصاعدية على الدخل السنوي ابتداء من نصف مليون فما فوق، وأن تكون تدريجية على مدى سنوات محددة، وفرض ضريبة على الأراضي البيضاء على وجه التحديد».

ومن أجل رفد ميزانية الدولة دعت الكتلة إلى: «زيادة نسبة مساهمة شركة (ممتلكات) القابضة في الميزانية بنسبة 50 ٪ على الأقل»، وأشارت إلى أن:» استمرار الخصخصة أضرّ بهيكلية سوق العمل وكذلك بصناديق التقاعد في القطاعين العام والخاص، نظراً لما يقدمه من تسويات وعدم دفع الأجانب للاشتراكات التي اوقفت بقرار».

وقالت الكتلة بأنه: «لابد من وجود تصور واضح من خلال الميزانية حول الخصخصة المتبعة حاليا بحيث يتم مراجعتها سريعاً نظراً لسلبيتها على سوق العمل وارتفاع نسبة البطالة وإنصاف المواطنين»، مشددة على: «اعتماد سياسة واضحة لإحلال البحرينيين في الوظائف الحكومية التي يشغلها نحو 7 آلاف و500 أجنبي».

«تقدّم»: الـ 3% معادل لنسبة التضخم السنوي

على صعيد متصل أكدّت الكتلة، في بيان منفصل، على أهمية أن تكون الإصلاحات المطروحة لأوضاع الصناديق التقاعدية ونظام التأمينات الاجتماعية في مملكة البحرين ومعالجة العجز المزمن فيها بناء على رؤية شاملة، تأخذ في الاعتبار معالجة مسببات تلك العجوزات والتراجعات المالية وكافة وجوه الفساد والتجاوزات والسياسات الإدارية والاستثمارية للإدارات التنفيذية ولمجالس الإدارات السابقة، وعلى ضرورة دراسة الخيارات المطروحة أمام لجنة الخدمات بمجلس النواب في ما يتعلق بالنقاط الواردة في المرسوم الملكي المتعلق بقانون التقاعد ذاته، بما يحقق الغاية من تلك التعديلات ويحافظ على مكتسبات اكبر شريحة ممكنة من المتقاعدين والمشتركين، والتمسك بما شدد عليه جلالة الملك بضرورة مراعاة شرائح ذوي الدخل المحدود حين مراجعة هذا القانون الهام، وأكده بشكل خاص البند المتعلق بالزيادة السنوية البالغة 3٪ كمعادل لنسبة التضخم السنوية، كما ورد في قانون دمج الصناديق التقاعدية الصادر في العام 2008 في القطاعين العام والخاص، والتي تعتبرها الكتلة حقا مكتسبا لا يجب التراجع عنه، خاصة في ظل التكلفة المقبولة المترتبة على الاستمرار فيه، ووجود خيارات أخرى بديلة يمكن الأخذ بها لضمان استمرارية الصناديق التقاعدية، الأمر الذي يستوجب دراسة كافة الخيارات المتاحة أمام اللجنة قبل الإقدام على تحديد الشرائح المستحقة، أو تقليص المكتسبات القائمة.

مطرقة البرلمان

البطالة ومشروع التوظيف الوطني

عبد النبي سلمان

يتابع الشارع البحريني بكثير من الاهتمام مداولات مجلس النواب بالنسبة للعديد من القضايا، والتي تشكل في مجملها ملفات مهمة تفرض أولويتها على تطلعات الشارع البحريني ليتمّ التركيز عليها باستمرار، بغية الوصول إلى حلول وانجازات منتظرة، ويأتي على رأس تلك الأولويات بطبيعة الحال ملفا البطالة والإسكان اللذان لا سبيل لمجلس النواب وللسلطتين التشريعية والتنفيذية، عامة، اهمالهما تحت أي ظرف، نظرا لالتصاقهما بشكل مباشر بمصالح جميع الشرائح والفئات تقريبا، وكذلك لارتباطهما بما بات يسمى بتحسين جودة الحياة بالنسبة للأفراد والأسر في ظل التحديات المتعاظمة، وعلى أكثر من صعيد أمام الشباب وأسرهم المتطلعة لتحقيق المزيد من الإطمئنان والثقة في المستقبل بشكل افضل.

ملف البطالة بالذات سيكون محور حديثي في هذه العجالة، على أن نفرد مقالات قادمة لقضايا الإسكان والتقاعد وغيرها بحسب الظروف، وهذا الملف، بحسب متابعاتي، بات يحتل أولوية خاصة بالنسبة للجميع في البحرين للأسباب الآنفة الذكر وأسباب أخرى عديدة لا يتسع المجال للتفصيل فيها.

بالنسبة لمجلس النواب، وكما تابع الجميع خلال الدورين الأول والثاني من الفصل التشريعي الخامس، وكذلك مجريات الدور التشريعي الحالي، الذي نعيش فصوله منذ سبتمبر الماضي، ويمكننا متابعة ذلك من خلال العديد من الأسئلة المطروحة على الوزراء والحكومة، وجلسات المناقشة العامة في ملفات مهمة كسوق العمل والتعليم والبطالة والصيادين وغيرها، وهي ملفات عرضت فيها أرقام وحقائق شخّصت بشكل واضح أبعاد المشكلة وتداخلاتها، ولا شك أن مجلس النواب بذلك قد مارس ضغطاً كبيراً باتجاه الدعوة للإسراع في إيجاد حلول عبر مشروع واضح المعالم، كما ساعدتنا في ذلك الخطوات الإيجابية التي اتخذت في أكثر من بلد خليجي بعض دول الخليج تجاه ملف البطالة وهيكلة أسواق العمل، وأستطيع أن أقول حجم الضغوطات على الحكومة كان ولا يزال غير مسبوق.

لذلك فإن تجاوب الحكومة الأخير، وإن طال انتظاره بالنسبة لنا على الأقل، عبر طرحها النسخة الثانية من مشروع التوظيف الوطني الذي كان عنوانه الأبرز هذه المرة: إيجاد 25 الف وظيفه للبحرينيين العاطلين في العام 2021 الحالي، يمكن أن يحفز آمال العاطلين وأسرهم في غدٍ افضل، على أن ذلك يجب ألا يستدعي الركون للتصريحات، بل العمل بتفعيلها على الأرض بما يصبّ في مصلحة العاطلين والتي من أول شروطها فهم آليات تحقيق ذلك، والتي يجب أن تبدأ بالإفصاح عن حجم المشكلة وتداخلاتها، ومن ثم الشروع بإعادة هيكلة سوق العمل بحسب معطيات ذات ابعاد وطنية ومعيشية وأمنية واقتصادية، وانسجاماً مع ما سبق أن دعت اليه رؤية البحرين 2030 وما بشر به مشروع تنظيم سوق العمل منذ العام 2006.

في المجمل نحن أمام مرحلة جديدة بكل ما تحمله من تحديات، وأثق أننا سنكون قادرين على تجاوز الكثير من التحديات والمصاعب شريطة أن نتحلى جميعا بروح جديدة ومتفائلة، وقبل ذلك بأفكار ومقاربات ورؤى مختلفة قادرة ان تستشرف المستقبل بكل ما يحمل لنا ولغيرنا من تحديات، لا سبيل امامنا إلا بتجاوزها متكاتفين لإنجاز مهماتنا الوطنية بأقصى ما نستطيع من تلاحم وانسجام وطني، بغية الإسهام، كل من موقعه، في بناء مستقبل أفضل لجميع أبناءنا وشبابنا العاطلين وانصافهم في أولوية التوظيف وتحقيق الاستقرار لسوق العمل الذي شهد فوضى وتخريباً لا قبل لنا بالتعايش معه اكثر، حفاظاً على هويتنا الوطنية ومصالح أبناء شعبنا.

معلقاً على تصريح وزير الأشغال والبلديات حول عدد الأجانب في وزارته

زينل: بلد (المليون نخلة) قادرة على إنتاج المتخصصين زراعياً

عبر عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل عن استغرابه مما كشف عنه وزير الأشغال وشؤون البلديات والتخطيط العمراني عصام خلف، من عدم وجود العنصر البحريني المؤهل لشغل وظائف في تخصصات زراعية كالبستنة والتشجير والتجميل، وأن يحدث هذا في البحرين، البلد الذي كان في يوم من الأيـام بلد المليون نخلة، وكانت الزراعة أحد مصادر العيش الرئيسية لأهله.

وأضاف زينل : أن يقول الوزير إن لديه 446 موظفاً أجنبياً، فتلك مشكلة، وأن يقرّ باستمرار صرف ملايين الدنانير عليهم وعلى أسرهم في زمن التقشف والتوازن المالي ورفع الدعم عن سلع وخدمات حكومية فتلك مشكلة ثانية، وأن يقر بعدم وجود البحريني لشغل وظائف زراعية فتلك مشكلة المشاكل، التي يتوجب على الحكومة التوقف ملياً عندها، والبحث عن موضع الخلل، فهل هو في غياب حالة الربط بين مخرجات التعليم والاحتياجات الوظيفية؟ أم في عقلية لا زالت تضرب ببنود الدستور عرض الحائط وتخالف ما تمّ التوافق عليه في برنامج العمل الحكومي، تحديداً تلك التي تشدد على أولوية البحريني في التوظيف؟.

زينل يقترح خفض اقساط الاسكان لـ 15% من الراتب

قال عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل إنه في طور التقدم باقتراح برغبة ينص على خفض القسط الذي يقتطعه بنك الإسكان مقابل الخدمة المقدمة من قبل وزارة الإسكان للمواطنين، ليصبح 15٪ من الراتب بدلاً من 25٪ كما هو الإجراء الحالي.

وأضاف: مقابل الخفض في القسط، يتم تمديد فترة السداد لتصبح 30 سنة بدلاً من 25 سنة كما هو الإجراء المطبق حالياً من قبل الوزارة.

وتابع زينل حديثه: يتضمن الاقتراح تحقيق غاية مهمة للأسر البحرينية تحديداً من ذوي الدخل المحدود، وذلك بتخفيف عبء القسط الشهري بفارق يقترب من النصف، بما من شأنه تدعيم أوضاع هذه الأسر لمواجهة أعباء معيشية متزايدة، لافتاً إلى أن المقترح يضمن في الوقت ذاته عدم التأثير سلباً على مقدار ما تقوم وزارة الإسكان بتحصيله من أقساط نظير الخدمة أو الوحدة السكنية.

ودعا زينل إلى مراعاة حق الأسر في اختيار ما يناسبها من إجراء، سيكون المواطن المنتفع بالخدمة الإسكانية مخيراً بين استمرار دفع القسط الشهري وفقاً للنظام الحالي، أو الاستعاضة عنه بالنظام المقدم عبر المقترح.

هاشم: معالجة «البحرنة» تتطلب قراراً سياسياً

قال عضو "تقدّم" فلاح هاشم إنه وعلى خلاف ما ينصّ عليه دستور مملكة البحرين، خاصة في المادة (13) هناك ما يربو على 7582 اجنبي يعملون في القطاع الحكومي، بعضهم عمل لعقود ومرتبات وامتيازات خيالية، لدرجة أن تكلفة المرتبات وحدها دون علاوات السكن وتذاكر السفر والبدلات الاخرى لسنوات 2019 و2020 بلغت ما مجموعه 119 مليون دينار، هذا عدا الالاف ممن يشغلون وظائف في الشركات الحكومية، وفي مقدمة تلك الجهات الحكومية، وزارة التربية والتعليم ووزارة الصحة ثم وزارة الاشغال، ثم الكهرباء والماء، فجامعة البحرين.

في ورشة الجمعيات السياسية حول "قطاع الكهرباء... أين الخلل؟"

هاشم: الخصخصة أضرّت بالمواطن

قال عضو «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم إن ارتفاع أسعار الكهرباء وزيادة سعر المياه إلى 30 ضعفا أدى إلى انعكاسات كبيرة على المواطن والمقيم والقطاع التجاري، مضيفا أن قطاع إنتاج الكهرباء والماء في البحرين يمثل العمود الفقري لمهمات ومسؤوليات هيئة الكهرباء والماء والذي يتضمن عدة محطات تدار وتمتلك من القطاعين العام والخاص، حيث بلغ إنتاج الكهرباء في 2018 نسبة 92.5٪ للقطاع الخاص، و7.5٪ للقطاع العام، فيما بلغ إنتاج المياه 77٪ للقطاع الخاص و23٪ للعام من السنة نفسها.

وأضاف هاشم خلال مشاركته في ورشة عمل نظمتها الجمعيات السياسية بعنوان «قطاع الكهرباء...أين الخلل؟ «بسبب غياب المعلومة عن كلفة الوحدة الكهربائية التي نشتري بها من الشركات الخاصة، سنعتمد أن الكلفة الإجمالية 29 فلسا وفق تصريحات المسؤولين، بالإضافة إلى دراسة قدمها د. عبدالمجيد حبيب أحد المسؤولين في هيئة الكهرباء والماء في الملتقى الهندسي الخليجي في نوفمبر 2011 يتبين أن كلفة الإنتاج تمثل 48٪ من الكلفة الإجمالية للوحدة الكهربائية، وأن كلفة النقل والتوزيع تمثل 52٪، وبالتالي فإنه طبقا لذلك فإن كلفة إنتاج الوحدة تبلغ 13.5 فلسا».

وأوضح أن:» قطاع إنتاج الكهرباء والماء يمثل أهمية كبيرة وتسيطر عليه شركات أجنبية مما يمثل تحديا وانتقاصا لأمن البلد الاقتصادي والمعيشي، كما أن هناك غيابا لمساهمة رأس المال المحلي أو حتى الصناديق السيادية للدولة في هذا القطاع الحيوي، ولم تساهم خصخصة هذا القطاع في تخفيض كلفة الإنتاج، كما انعكست عملية الخصخصة بصورة سلبية على صناديق التقاعد، وحدث تدن في نسب البحرنة وضياع فرص عمل للبحرينيين».

وبين هاشم أنه: طبقا لإحصائيات وزارة الكهرباء كانت كلفة وحدة الكهرباء أقل من 10 فلوس في 2004 قبل الخصخصة، مستعرضا تبعات برنامج الخصخصة على قطاع الكهرباء، مضيفاً: «أن نسبة القوى العاملة على سبيل المثال في محطة الحد للطاقة بلغت قبل الخصخصة 82٪ فيما بلغت بعد الخصخصة 45٪، وإنارة الطرق كانت نسبة البحرنة 100٪ وبعد الخصخصة بلغت حوالي 16٪.».

هاشم: معالجة «البحرنة» تتطلب قراراً سياسياً

واضاف: فعلى الرغم مما ينص عليه دستور مملكة البحرين في المادة (13) على تكفل الدولة بتوفير فرص العمل للمواطنين وعدالة شروطه.. وما نص عليه قانون ديوان الخدمة المدنية في المادة (11) على ان الاصل في التوظيف هو للبحرينيين. نرى الالاف من البحرينيين على قوايم وزارة العمل وديوان الخدمة المدنية لسنوات طويلة

واردف قايلا: كشفت هذه الوثايق عن ان هناك ما يربو على 7582 اجنبي يعملون في القطاع الحكومي بعضهم عمل لعقود و بمرتبات خيالية بلغت فقط تكلفة المرتبات دون تكاليف السكن وتذاكر السفر والبدلات الاخرى لسنوات 2019 و2020 ما مجموعه 119 مليون دينار هذا عدا الالاف ممن يشغلون وظائف في الشركات الحكومية، وفي مقدمة تلك الجهات الحكومية، وزارة التربية والتعليم ووزارة الصحة ثم وزارة الاشغال، ثم الكهرباء والماء، فجامعة البحرين

ماذا يُرسمُ لهيئة التأمين الاجتماعي؟

فلاح هاشم

"على المرء أن ينتظر حلول المساء ليعرف كم كان نهاره عظيماً" – *(وليم شكسبير)*

لا يخفى على المتتبع أحوال هيئة التأمين الاجتماعي وتأثير قراراتها السلبية على العاملين في القطاعين العام والخاص منذ بضع سنوات، وعودة خروج موجة أخرى على التقاعد المبكر بسبب تلك القرارات.

ففي بداية عام 2016 وعلى أثر تلميح لوزير المالية السابق الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة، في رده على كلام ذكره النائب السابق عبدالرحمن بوعلي إلى إمكانية مراجعة نظام التقاعد في البحرين، وذلك لوجود تحديات مختلفة، وبأن الحكومة ستصدر قرارات لإلغاء مكافأة نهاية الخدمة، ورفع سن التقاعد إلى 65 عاماً، وإلغاء نظام شراء سنوات الخدمة، وما تبعه من موجة خروج الآلاف من العاملين على التقاعد المبكر بعد مضي عدة أشهر، وهو ما وصفه وزير العمل، رغم خروج تلك الآلاف، بالإشاعة والتي كان له الأثر في تضاعف وزيادة عدد المتقاعدين مبكراً في الربع الثاني من عام (2016)، إلى أكثر من ضعف العدد الذي كان عليه في الربع الأول من العام نفسه.

ولم يحدّ من هذه الموجة إلا قرار رئيس مجلس الوزراء المغفور له صاحب السمو الملكي الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس الوزراء في ذلك الوقت وما أكد عليه أن مكافأة نهاية الخدمة لن تُمَسَّ أو تُطالَ وأنّ ما يُثار حول إلغائها غير صحيح البتة، لتعود الحكومة في مرئياتها المقدمة لمجلس النواب بمسمى (مرئيات إصلاح أنظمة التقاعد) في القطاعين العام والخاص لتثير نفس الهواجس وبصورة أكبر من السابق، بحيث من المتوقع مبادرة الآلاف من العاملين في القطاعين بالتقدم لطلب التقاعد المبكر قبل تطبيق تلك الإصلاحات المزعومة وخاصة في ما يعنى بإلغاء التقاعد المبكر وبالخصوص في فئة النساء.

وهذا ما يتضح من إحصائيات هيئة التأمين الاجتماعي نفسها، ففي إحصائيات الربع الثالث من العام المنصرم 2020 أي بعد نشر هيئة التأمين مرئياتها لإصلاح التقاعد تضاعف أعداد المتقاعدين مبكراً في القطاع الخاص بحيث بلغ في الربع الثالث فقط ما مجموعه 1303 متقاعد، وبما يفوق مجموع الربعين الأول والثاني، حيث كان عدد المتقاعدين فيهما 603 و 463 على التوالي، وبنسبة تفوق الـ 55٪ من مجموع المتقاعدين مبكراً خلال الـ 9 شهور .

نتسائل هنا ما الفائدة من كل هذه الاصلاحات المزعومة بعد تقليص أعداد المشتركين المتوالية وعبر مشاريع وبرامج لها تأثير سلبي كبير على ديمومة الهيئة وخاصة في ما يختص بأعداد المشتركين؟ حيث تم إخراج الآلاف في العام ما قبل الماضي من القطاع العام عبر برنامج التقاعد الاختياري وقبلها خرج الآلاف جراء تصريح غير محسوب العواقب. لتعاد الكرة وتفقد الهيئة عددا مماثلاً إذا لم يفوق أعدادهم من جراء هذه المرئيات.

من المسؤول عما يحدث، والذي يعتبر تدميراً لهذه الهيئة ومقدمة للقضاء عليها؟

وهل هي مقدمة لتصفية الهيئة تمهيدا لصالح أنضمة تعتمد آليات الخصخصة في هذا الجانب؟ وهل يعي المسؤولون تبعات هذه الإجراءات التي لن تقتصر على المواطنين بل ستتعداه الى أمن البلد ومن عليها اقتصادياً واجتماعياً وتهديد السلم الأهلي بشكل مباشر؟ فهل ننتظر ما يخفيه لنا حلول المساء، وغياب شمس نهار التأمينات الاجتماعية؟

محطات مضيئة من نضال حركتنا العمالية - ٤

جواد المرخي

قدّم شعب البحرين وعماله في انتفاضة مارس 1965 المجيدة، والتضحيات البطولية، حيث سقط شهداء وجرحى، واعتقل الكثيرون من المناضلين ومن المشاركين فيها، لكن هذا القمع لم يثن الحركة العمالية عن مواصلة نضالها في المرحلة التالية، ففي عام 1968 قام عمال ادارة الكهرباء والماء في محطة الجفير بإضراب شارك فيه العديد من الرفاق، ورفعت فيه مطالب عديدة بينها السماح بتشكيل نقابة لهم، بإطلاق حرية العمل النقابي.

وفي عقد السبعينات اشتدّ عود الحركة العمالية، واتسع نضالها الذي شمل الاضرابات والاحتجاجات المنظمة في أماكن عديدة مثل موقع انشاء شركة البا، وزارة الصحة، شركة البرق واللاسلكي، إدارة الأشغال العامة، قطاعات المقاولات، بعض الشركات في المنطقة الصناعية في ميناء سلمان وغيرها.

تركزت المطالب العمالية يومها على حرية العمل النقابي، ورفع الأجورالمتدنية، وتحسين الحياة المعيشية وظروف العمل وتأمين السلامة المهنية، وتزامن ذلك مع إلاعلان عن تأسيس اللجنة التأسيسية لاتحاد العمال والمستخدمين وأصحاب المهن الحرة في عام 1971، عشية انسحاب المستعمرين البريطانيين من البحرين، واعلان الاستقلال.

وتمّ ذلك بالجهود المشتركة لمناضلي الحركة الوطنية واليسارية، وقد وقعّ على عريضة تأسيس الاتحاد الآلاف من العمال، لكن السلطة لم تستجب لهذا المطلب، الذي كان يمكن أن يؤسس لقيام ثاني اتحاد عمالي في البحرين، بعد تجربة اتحاد العمل البحراني في الخمسينيات.

وعجّل هذا النضال في اعلان صدور دستور مملكة البحرين عام 1973، وبدء التجربة البرلمانية الأولى التي وأدت في مهدها، خاصة بعد النجاحات التي حققتها جبهة التحرير الوطني البحرانية في تلك الانتخابات، إذ بادرت لتأسيس "كتلة الشعب" التي فازت بثمانية مقاعد في أول برلمان من أصل أعضائه المنتخبين الثلاثين، إضافة إلى فوز عناصر وطنية أخرى مستقلة.

على خلفية هذا الفوز تأسست أربع نقابات عمالية علنية عام 1974، هي نقابة ألبا، نقابة العاملين في وزارة الصحة، نقابة العاملين في الكهرباء، نقابة العاملين في الإنشاء والتعمير، وكان للكوادر العمالية من أعضاء ومناصري جبهة التحرير الوطني دور كبير في تأسيس تلك النقابات، وفق بنود قانون العمل لعام 1975 الذي يجيز تأسيس القابات العمالية، إلا إن المماطلات والرفض من قبل الحكومة حال مرة أخرى دون اشهار النقابات الأربع حينها، وموورست ضغوط كبيرة على القيادات والكوادر العمالية ممن أسسوها، شملت المضايقات الأمنية، والتسريح من العمل، والاستجواب والاعتقالات لمدد طويلة.

20% من موظفي العالم عملوا في المنزل بسبب كورونا

قالت منظمة العمل الدولية، إن واحداً من بين كل خمسة أشخاص كان يعمل من المنزل منذ الأشهر الأولى لبداية وباء فيروس كورونا المستجد، وتوقعت المنظمة أن يستمر نمو العمل المنزلي خلال السنوات المقبلة.

ولفت تقرير صادر عن المنظمة الدولية إلى أن نحو 260 مليون شخص كانوا يعملون من المنزل قبل وباء كورونا، وبما يمثل 7.9 ٪ من العمالة العالمية، 56 ٪، منهم من النساء (نحو 147 مليوناً)، مشيراً إلى أن هؤلاء هم عادة أسوأ حالاً من الذين يعملون خارج المنزل.

وقالت المنظمة إن العاملين في المنزل يواجهون أيضاً مخاطر أكبر على السلامة والصحة، ولديهم وصول أقل إلى التدريب مقارنة بالعاملين خارج المنزل، وبما قد يؤثر على آفاق حياتهم المهنية.

«الوطن» - 15 يناير 2021

مقترح شوري يزيد من مهلة إخطار ترك العمل من 30 إلى 120 يومًا

أبدت لجنة الخدمات بمجلس الشورى رأيها بجواز النظر بالمقترح بقانون بتعديل قانون العمل الأهلي، المقدم من عدد من أعضاء مجلس الشورى، والذي ينص على أنه يجوز لطرفي عقد الاتفاق أن تزيد مهلة الإخطار على 30 يومًا ولا تتجاوز 120 يومًا، إذا كانت من الأعمال التي يصعب الحصول على عامل بديل مؤهل خلال مدة قصيرة، على أن يصدر الوزير قرارًا بتحديد تلك الأعمال.

بدورها، أكدت وزارة العمل أن التعديل المقترح يضرّ بمصلحة العامل إذا كان الأخير هو الراغب في إنهاء العقد، وكان عقد العمل يتضمّن شرطًا يقضي بأن مدة الإخطار تزيد على ثلاثين يومًا، الأمر الذي قد يضيع على العامل فرصة للالتحاق بعمل أفضل وبشروط أحسن لدى صاحب عمل آخر.

«الأيام» - 22 يناير 2021

حكم قضائي يرفض إعادة رئيس نقابة طيران الخليج لمنصبه

رفضت محكمة الإستئناف العليا المدنية طعن الرئيس السابق لنقابة عمال طيران الخليج على قرار بتدوير منصب الرئيس في النقابة بعد أن تمّ فصله من العمل، وقالت المحكمة إن المستأنف تمّ فصله من الخدمة وتغيرت المراكز القانونية بزوال شرط المصلحة، ولا يقبل أي طلب أو دفع لا يكون لصاحبه فيه مصلحة قائمة يقرها القانون.

وكان رئيس نقابة عمال طيران الخليج قد رفع دعوى قضائية طالب فيها بتجميد عمل النقابة ورفع يد الرئيس الحالي عن تمثيل النقابة ورئاستها، وبطلان إجراءات إعادة تدوير المناصب الإدارية في النقابة مع ما يترتب على ذلك من آثار أخصها عودة المستأنف لشغل منصب رئيس النقابة.

«الوطن» - 9 يناير 2021

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب
الفنان على
«انستجرام»

رئيس مجلس إدارة هيئة التأمين الاجتماعي: أخطأنا

أخطأنا

قالت لجنة التحقيق البرلمانية إن رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي أقرّ للجنة بوجود أخطاء سابقة، لكنه وعدَ اللجنة بإصلاحها، كما وعد أنه بناءً على طلب لجنة التحقيق البرلمانية ستقوم الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي بالانتقال إلى مبنى خاص بها لتوفير مبالغ مصروفات الايجارات والتي قدرت خلال 4 سنوات الماضية 3.5 ملايين دينار.

وقال النائب إبراهيم النفيعي رئيس لجنة التحقيق البرلمانية بشأن صناديق التقاعد إن الهيئة أبلغت لجنة التحقيق في اجتماعها أمس أنها قامت بإحالة مسؤول سابق في إحدى الشركات الاستثمارية التابعة للهيئة إلى النيابة العامة بعد أن اكتشفت بعد تقديمه استقالته أنه اختلس مبالغ طائلة تصل إلى 500 الف دينار.

وأشار النفيعي إلى أن الهيئة أفادت في الاجتماع بعملية الاختلاس التي حصلت وأنها حولت المسؤول إلى النيابة العامة، مؤكدًا أن النواب طلبوا تزويدهم بالأسباب التي أدت لحدوث عملية الاختلاس.

وأشار النفيعي إلى أن الهيئة أخطرت اللجنة بأن الحكومة لم تقم بطلب دراسة اكتوارية حول تأثير برنامج التقاعد الاختياري على الصناديق التقاعدية.

«الأيام» - 19 يناير 2021

الميزانية بوصفها أداة في السياسة العامة للدولة

صدرت الميزانية العامة لعام ٢٠٢١–٢٠٢٢ في ظل ظروف الجائحة الصحية وفي ظل تنامي الدين العام والعجز. وفي استعراض الميزانية نتساءل ماهي اهدافها والمبادئ التي قامت عليها؟ وماهي السياسات التي تريد الحكومة ان تدعمها من خلال الميزانية؟ وما مدى ارتباط الميزانية ببرنامج الحكومة والرؤية؟ وماهو تاثيرها على رأس المال البشري؟ وما علاقتها بالنشاط الاقتصادي؟ وماهي خيارات الحكومة ومجلس النواب والمجتمع لتقليل العجز والدين العام؟

د. محمد الكويتي

حصتا الصحة والتعليم انخفضتا بواقع ٣٪ و٧٪ على التوالي، وانخفض الدعم الحكومي من ٥٨٥ مليون في ٢٠١٩ الى ٤٠٢ مليون في ٢٠٢٢ بنسبة (٣١٪)

تمثل فوائد الدين العام نسبة كبيرة من العجز فقد بلغ ٧٠٨ مليون دينار في ٢٠٢١ ارتفع الى ٧٥٦ مليون في ٢٠٢٢، مرتفعا عن ٢٠٢٠ بواقع ٨,٦٪، و ١٨٪ عن ٢٠١٩

الميزانية هي أداة سياسية اقتصادية اجتماعية ترتبط بالخطة التنموية طويلة المدى (الرؤية) وبالخطط والبرامج المرحلية (برنامج الحكومة والخطة الاستراتيجية). وبالتالي فإنها أداة في السياسة العامة للدولة وتحدد توجهاتها. فهي سياسة مالية تعكس تاثير الحكومة في إدارة وتحريك الاقتصاد، وهي أداة لتوزيع الدخل والثروة لتحقيق مساواة وعدالة اجتماعية أكثر، وهي أداة لخلق توازن بين مختلف المصالح والطبقات في المجتمع بما يخدم التنمية الاقتصادية بشكل عام، وفي نفس الوقت هي اداة لاحداث توازن بين الحاجة الانية والتطلعات المستقبلية.

ووفق وزير المالية فإن الميزانية تقوم على مبادئ ثلاثة هي: الحفاظ على الدعم الاجتماعي للمواطنين الأكثر احتياجا، واستمرار تحسين كفاءة الخدمات الحكومية وتقليل مصروفاته الإدارية، ومراعاة الاستخدام الأمثل للموارد المالية.

من مراجعة الميزانية نجد أن ما قدمته الحكومة لا يتسق بشكل واضح مع هذه المبادئ. فمثلا بالرغم من ارتفاع بند دعم الأسر محدودة الدخل بمقدار 14 مليونا، أي بنسبة (11.3٪) إلا إنه تمّ تخفيض الضمان الاجتماعي ككل بنسبة 10٪ ودعم التقاعد بنسبة 12.6٪ وهذا يتعارض مع المبدأ الاول الذي يرى ضرورة دعم الفئات الاكثر احتياجا. كذلك زادت نفقات الحكومة الإدارية بنسبة 8٪ وهذا يضع تساؤل حول المبدأ الثاني في رفع كفاءة الخدمات الحكومية وتقليل مصروفاتها الادارية. أما قضية الاستخدام الأمثل للموارد فنرى أن الصحة والتعليم هما أفضل استثمار للمال العام، وهذان البندان تقلصا بواقع 3٪ للصحة و7٪ للتعليم، اما الدعم الحكومي فقد انخفض من 585 مليون في 2019 الى 402 مليون في 2022، منخفضا بنسبة (31٪).

لعرض بعض جوانب الميزانية نذكر أن الإيرادات النفطية المتوقعة (45 دلار للبرميل) لعام 2021 كانت 1.4 ملبار دينار منخفضة عن ايرادات 2020 بواقع 33٪ والتي كانت 2.14 مليار دينار. اما الايرادات غير النفطية فبلغت 580 مليون دينار في 2022 بانخفاض قدره 4.3٪ عن 2020 (او 25 مليون دينار). بلغ اجمالي الايرادات في 2022 مبلغ 2.3 مليار دولار مقارنة ب 2.9 مليار في 2020 بانخفاض 26٪ (او 600 مليون دينار). وبالرغم من هذا الانخفاض الكبير نسبيا نجد أن المصروفات لم تتغير كثيراً، حيث كانت 3.55 مليار في 2020 انخفضت الى 3.48 في 2022 بواقع اقل من 1٪ (او 62 مليون).

أما نسبة العجز في الميزانية (بين الايرادات والمصروفات) فقد بلغت 35.8٪ (1.27 مليار) في 2021 وانخفض الى 33٪ في 2022 (1.14 مليار). وتمثل فوائد الدين العام نسبة كبيرة من العجز فقد بلغ 708 مليون دينار في 2021 ارتفع الى 756 مليون في 2022. مرتفعا عن 2020 بواقع 8.6٪، و 18٪ عن 2019.

وان اكثر البنود التي تعرضت للتخفيض هي علاوة تحسين المعيشة للمتقاعدين، واعانة المواد الغذائية، وبرامج الاسكان (علاوة الايجار)، ودعم هيئة الكهرباء.

يثير استعراض الميزانية عدد من القضايا والتساؤلات. القضية الاولى هي ان الميزانية تصدر كل سنتين وبرنامج الحكومة كل اربع سنوات وبالتالي فالميزانية تطرح رؤية برنامج الحكومة لاربع سنوات في اول المدة، وتعتبر تقرير لمنتصف المدة لبرنامج الحكومة، وعليه ينبغي ان تشرح ماذا تحقق من البرنامج وماذا بقي وماهي العقبات او المعوقات وكيف سنتعامل معها؟ وكذلك تعتبر الميزانية تقريرا عن استراتيجية الحكومة طويلة المدى وكيف ستؤثر فيها. لذلك تبرز الاسئلة التالية:

ماهي المشاكل والقضايا التي ستعالجها هذه الميزانية؟ وكيف ستكون المعالجة والتاثير؟

ماهو مستوى الانخفاض في معدلات البطالة الذي نسعى الى تحقيقه؟ وكم هي الوظائف التي ستخلق وكيف وفي اي مجال؟

ماهي القطاعات الاقتصادية التي ستستفيد من الميزانية ولماذا هذه القطاعات، وكيف ستستفيد؟

ماهو الارتفاع (او الانخفاض) في معدلات مستوى المعيشة؟ وماهي الشرائح التي ستتاثر (محدودة الدخل، متوسطة الدخل، الغنية)؟ وكم نسبة التغيير؟

كيف ستؤثر الميزانية في مستوى التعليم والصحة والضمان الاجتماعي والامن والدفاع وكيف توازن بين هذه المتطلبات ولماذا؟

ما هي الانجازات بشكل عام وكيف ساهمت الميزانية السابقة في تحقيقها؟

ماهي خيارات الحكومة وخطتها في زيادة الايرادات؟

كيف سيكون التعامل مع العجز (او الفائض) في الميزانية ومع الدين العام وتاثيره على الاقتصاد والاستثمارات الاجنبية؟

ماهي المعايير التي تقاس بها التنمية والتي ستتحقق وكيف ستكون المساءلة على هذه المعايير؟

ماهو النمو الاقتصادي المتوقع في المرحلة القادمة؟ وفي اي القطاعات سيكون النمو اكبر؟ وكيف سينعكس على مستوى معيشة المواطن؟

القضية الثانية تتعلق بتاثير الميزانية على رأس المال البشري والاجتماعي. تقتضي التنمية والاستقرار الاجتماعي الاهتمام بالتعليم والصحة والضمان الاجتماعي عير ان هذه البنود تاثرت سلبا في الميزانية. فقد بينا اعلاه ان مخصصات الضمان الاجتماعي انخفضت بواقع 10٪ والتعليم 7٪ والصحة 3٪. السؤال لماذا تنخفض هذه المصروفات الضرورية والهامة للتنمية والمتوافقة مع الرؤية وبرنامج الحكومة في حين ترتفع نفقات اخرى بما يتعارض مع مبدأ الاستخدام الافضل للموارد. بناء الموارد البشرية يقتضي الاهتمام بالتعليم

- أكثر البنود التي تعرضت للتخفيض هي علاوة تحسين المعيشة للمتقاعدين، وإعانة المواد الغذائية، وبرامج الاسكان ودعم هيئة الكهرباء
- تضرّ ضريبة القيمة المضافة بالطبقة العاملة ومحدودة الدخل وبقدرتها الشرائية، ولا يتأثر بها الأغنياء بنفس القدر

والتدريب وخصوصا التعليم العالي والبحث العلمي، فقد بقيت ميزانية الجامعة 38 مليون دينار لا تمكنها من التعاون مع القطاع الانتاجي ودعمه بالابحاث، حيث هذه هي مقومات الابتكار وزيادة الانتاجية ورفع مستوى المعيشة. لم تنصف الميزانية هذه العناصر مما يثير تساؤلاً حول كونها ميزانية تنموية.

القضية الثالثة هي مدى توفر المعلومات والشفافية. فمثلاً لا تذكر ديباجة القانون أية تفاصيل، ولا تتعرض لأي فرضيات ولا تجيب عن أي من التساؤلات حول أداء الميزانية السابق، أو توقعات المستقبل. الفرضية الوحيدة تتعلق بسعر النفط الذي بنيت عليه الميزانية وهو 45 دولار للبرميل. السؤال الذي يقلق الكثيرين هو ما هو تصور الحكومة لضريبة القيمة المضافة، وكيف تفسر الحكومة ارتفاع ايـرادات (الجهاز الوطني للايرادات) الضرائب من 213 مليون دينار الى 360 مليون (بزيادة 70٪ تقريبا)، وهل سترتفع الضريبة أم ستبقى كما هي. لم يتعرض مشروع الميزانية الى ذلك. ارقام تتغير من عام الى اخر دون ان تعطي الحكومة شرح او تبرير للتغيير واسبابه وتداعياته. فمثلا هنات تخصيص 48 مليون دينار دعم الكهرباء في 2021، وتوقف في 2022، ادى ذلك الى تضارب في تصريحات النواب بين من يقول بوقف دعم فواتير الكهرباء وبين من يرى استمرارها الى ان اكدت الحكومة الاستمرار.

القضية الرابعة هي ما علاقة الميزانية بالشركات المملوكة للحكومة والشركات الاجنبية التي يعمل مجلس التنمية الاقتصادي على جذبها وكيف تسهم في الميزانية؟ ولماذا تبقى بعض الايرادات خارج الميزانية؟ فمثلا ممتلكات تساهم في الميزانية بواقع 10 مليون دينار، فما هو المنطق والسبب في ذلك؟ وهل هي نسبة من الارباح ام رقم مناسب فقط؟

القضية الخامسة هي ما علاقة الميزانية بالنشاط الاقتصادي. في الوقت الحاضر ترتبط الميزانية بهذا النشاط بشكل محدود من خلال الرسوم لفتح السجلات، وخلق فرص عمل تستفيد منها في الغالب عمالة أجنبية تمول مشاريع تمكين ودفع ضرائب قيمة مضافة على مشترياتهم المحدودة جداً، وتأجير عقارات تستفيد منه البلديات. أما الانفاق الحكومي في المشاريع فإنه لا يخلق فرص عمل للمواطنين بما يكفي، وتستفيد منه العمالة الاجنبية بشكل اكبر، وفي الحالتين فإن التأثير الإيجابي لذلك على الميزانية محدود. وكذلك الحال بالنسبة للاستثمارات الاجنبية. وبالتالي فإن مستوى النشاط الاقتصادي لا ينعكس على الميزانية بما يكلفي كما هو الحال في الدول التي تفرض ضرائب دخل وثروة تعزز الميزانية. أما ضريبة القيمة المضافة فهي تضر بالطبقة العاملة ومحدودة الدخل بشكل أكبر وبالتالي فهي تضر بقدرتها الشرائية، في حين لا يتاثر بها الأغنياء بنفس القدر.

تقوم الميزانية على فرضية أن الإيرادات هي عنصر يكاد يكون ثابتاً، ولا مجال لزيادته. هذا يضعنا أمام خيارات صعبة في تنويع ايرادات الحكومة وتنويع الاقتصاد. يتطلب الأمر إعادة النظر في ايرادات الدولة وليس الميزانية فقط. فهل ضرائب الدخل والثروة (التصاعدية في الحالتين) على الطبقة الغنية والدخول العالية والشركات هو أحد هذه الخيارات؟

فرض أو زيـادة الضرائب في وقت الركود امر ليس مستحب. والفرضية هنا هو أن ذلك يسحب سيولة من السوق فيضعف الطلب الكلي (aggregate demand) ويقلل الإدخال الممكن للاستثمار. كذلك إذا فرضت الضرائب على دخل الشركات فيمكن أن يؤدي إلى هروبها إلى دول مجاورة، كما قد يضعف الحوافز لاستثمارات جديدة سواء كانت محلية أو أجنبية. لذلك فإن هذا الخيار يفضل أن يكون قراراً خليجياً إن امكن.

مع أخذ كل ذلك في الاعتبار، فإن الضرائب هي مصدر إيراد الحكومات في جميع الدول التي ليس لها ايرادات نفطية او غيرها (مستقلة عن المجتمع وعن النشاط الاقتصادي) وبالتالي فإن المحاذير المذكورة أعلاه تؤثر في معظم دول العالم. تقوم الدولة بتعويض نقص السيولة الناتج بزيادة انفاقها على المشاريع والضمان الاجتماعي للحفاظ على مستوى الطلب الكلي. لذلك فإن السياسة المالية، (التي تعبر عنها الميزانية) تضع نظام ضريبي ياخذ هذه المحاذير في الحسبان. كذلك تسعى الحكومات إلى تحقيق توازنات في المجتمع وتقليل الفجوة بين مستويات الدخل العليا والدنيا لتحقيق عدالة اجتماعية، والحفاظ على الرفاه وجودة الحياة. وبالتالي فإن ضرائب الدخل والثروة إذا فرضت على الطبقة الغنية (وعلى أرباح الشركات) وعلى الثروات المنقولة وغير المنقولة مثل الأراضي، واستخدمت إيراداتها لتحسين مستويات المعيشة والاستثمار في المشاريع الانتاجية وتطوير البنى التحتية، فإن ذلك قد يرفع الإنتاجية، والتأثير على الطلب الكلي قد لا يتاثر وسيعتمد على كيفية التعامل مع سياسة الضرائب والإنفاق الحكومي. أما من حيث هروب الشركات ورؤوس الأموال فهذه ظاهرة عالمية اليوم، يمكن للدولة أن تحدّ من تأثيرها بوضع ضرائب على الثروة سواء كانت في البلد أو خارجه (ازدواج ضريبي لمعاقبة التهرب).

الفائدة الأخرى من الضرائب هي فرصة للمطالبة بمزيد من الشفافية في إدارة المال العام، وأوجه انفاقه وبالتالي ترفع حصة الميزانية من الإيرادت العامة للدولة. في النهاية فإن هذا دور التخطيط الاقتصادي والسياسية المالية والميزانية ينبغي أن تعكس كل المصالح وتوازن بينها.

قراءة في الميزانية العامة

لماذا يجب علينا معرفة الزيادة والانخفاض في المصروفات والإيرادات العامة؟ وما أهمية الميزانية العامة لنا كمواطنين؟ وما علاقة السياسة الاقتصادية بالميزانية العامة؟

تختلف قراءة الموازنة العامة من شخص إلى آخر ومن جهة إلى جهة أخرى. فعلى سبيل المثال فإن عضو السلطة التشريعية يهمه ما يمس المستوى المعيشي بشكل مباشر مثل الضمان الاجتماعي والدعم والاسكان، أما المحلل اقتصادي فيهمه دور وتأثير الموازنة في التنمية الاقتصادية بشكل عام ومدى ملائمتها في تنشيط الاقتصاد والتغلب على التحديات الاقتصادية.

د. جعفر الصائغ

الحل ليس في سياسة التقشف وإنما في تصحيح المنهج الاقتصادي، بحيث يتحول اقتصادنا من الاعتماد المفرط على النفط والقروض والمنح والمساعدات إلى الاعتماد على الذات والإنتاج المتنوع والاستثمار المحلي القائم على قدراتنا الفكرية والبشرية

ينبغي التذكير أن الميزانية العامة هي الأداة الاقتصادية الوحيدة الفعالة التي تستخدمها الدولة للتأثير على الاقتصاد الكلي، من خلالها يتمّ ضخ السيولة في الاقتصاد، وتنفذ السياسة الاقتصادية، ومن خلالها أيضاً يتم تحقيق اهداف الرؤية الاقتصادية 2030.

يعني هذا أن الموازنة أو الميزانية العامة هي تحصيل ايرادات وتوزيعها لتمويل الخدمات الحكومية على القطاعات الاقتصادية وتسمى مصروفات عامة، فمن خلال هذه الميزانية يمكننا معرفة توجه الحكومة واهتماماتها وأهدافها الاقتصادية والاجتماعية خلال السنة أو السنتين الماليتين القادمتين. فعلى سبيل المثال يمكننا معرفة مدى أهمية قطاع التعليم والصحة للدولة من خلال حجم الأموال المخصصة للقطاعين، وكذلك مشاريع البنية التحتية والاستثمارات.

ويمكننا مقارنة حجم مخصصات التعليم مع دول مختلفة، فعلى سبيل المثال فإن دولة الإمارات تخصص 15٪ من المصروفات العامة لقطاع التعليم وفي المملكة العربية السعودية 18.8٪ (ميزانية 2021) بينما لا تزيد النسبة في البحرين عن 5٪. وكانت النسبة عام 2015 بلغت 8.8٪ من حجم المصروفات العامة.

إن دولاً مثل دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD تخصص في المتوسط 13٪ من مجموع نفقاتها العامة للتعليم بمستويات تتراوح بين 10٪ في إيطاليا، وفي اليابان وسلوفاكيا إلى أكثر من 19٪ ، وتبلغ في سنغافورة 22٪ ، وفي الولايات المتحدة 15٪، وفي ماليزيا 19.7٪ وفي المانيا 11٪..

أما مخصصات الصحة فقد بلغت نسبتها من الموازنة العامة في المملكة العربية السعودية 7.4٪، وفي دولة الامارات 7٪.

الموازنة مصدر هام لضخ السيولة في الاقتصاد

يقدر حجم السيولة في البحرين حوالي 70 مليار دينار، ومصادر هذه السيولة هي الاستثمارات المحلية والإقليمية والعوائد المصرفية أي المدخرات الوطنية، والتحويلات المالية من الخارج وعوائد الصادرات، فعندما يكون الاقتصاد في حالة ركود لأي سبب كان، نتوقع أن تقوم الدولة بزيادة حجم المصروفات لمواجهة الركود وتنشيط الاقتصاد، كما نتوقع أن يتمّ خفض الضرائب والرسوم الحكومية لغرض زيادة دخل أفراد المجتمع ومن ثم زيادة الاستهلاك. ولكن ما نراه هو انخفاض المصروفات العامة في فترة الركود وقد يكون أحد الاسباب هو انخفاض الايرادات النفطية

ارتكزت الرؤية الاقتصادية 2030 على ثلاث مبادئ هي: الاستدامة والعدالة والتنافسي، ويتضمن برنامج عمل الحكومة 9 أهداف عامة تطمح الحكومة إلى تحقيقها خلال الأعوام الأربعة من 2019 وحتى 2022 عبر التركيز على ثلاث أولويات هي: تعزيز الثوابت الأساسية للدولة والمجتمع، الاستدامة المالية والتنمية الاقتصادية، تأمين البيئة الداعمة للتنمية المستدامة.

تعمل الحكومة من خلال برنامج عملها لتحقيق الأهداف العامة التالية: الاستثمار في المواطن من خلال تعزيز وتطوير واستدامة الخدمات الحكومية في التعليم والصحة والخدمات الأخرى، المحافظة على مجتمع يسوده الأمن والاستقرار ، تعزيز التنمية الشاملة في إطار تحقيق توازن مالي يواكب ويحافظ على النمو الاقتصادي الإيجابي، دفع القطاع الخاص ليتبوأ دوراً أكبر كمحرك رئيسي في عملية التنمية لخلق فرص نوعية للمواطنين وللعمل والاستثمار، ترسيخ قواعد الاستخدام الأمثل للموارد وضمان استدامتها للأجيال القادمة، استدامة التنمية الاجتماعية والاقتصادية من خلال تفعيل التشريعات والمبادرات الداعمة لاستقرار الأسرة، استمرار تمويل المشاريع التنموية والبنى التحتية المحفزة للنمو ولخدمة المواطنين، إعادة رسم دور القطاع العام من المحرك الرئيسي إلى المنظم والشريك، وتطوير وتسهيل الإجراءات الحكومية، دعم الإبداع والتفوق ودور المرأة والشباب والرياضة في جميع البرامج والمبادرات الحكومية

تطمح الحكومة في الانتقال من اقتصاد قائم على الثروة النفطية إلى اقتصاد منتج قادر على المنافسةعالمًيا، ويتولى القطاع الخاص الرائد عجلة تنميته بشكل يوسع الطبقة الوسطى من المواطنين البحرينيين الذين ينعمون بمستويات معيشية عالية جراء زيادة معدلات الإنتاجية والوظائف ذات الأجور العالية، وطبقا للرؤية على المستوى المحلي هناك حاجة إلى تغيير النموذج الاقتصادي الحالي، حيث يتمثل الهدف الرئيسي للرؤية في زيادة دخل الأسرة الحقيقي إلى أكثر من الضعف بحلول العام 2030. وسوف يتم دفع عجلة النمو الاقتصادي للبحرين بزيادة إنتاجية القطاع الخاص وبجعل المواطن البحريني الخيار الأمثل للعمل في الشركات ذات القيمة المضافة العالية،

يلاحظ انخفاض مستمر في الخدمات الحيوية كالصحة والتعليم، وتوجه نحو معالجة الوضع المالي بالضرائب وخفض المصروفات وليس بتنويع القاعدة الإنتاجية

ملاحظات حول مشروع الموازنة

من الواضح انها ميزانية أزمات، تعكس الوضع المالي الصعب، وسياسة التقشف في أعلى رتبها، فيما يلاحظ انخفاض مستمر في الخدمات الحيوية كالصحة والتعليم ، وتوجه نحو معالجة الوضع المالي بالضرائب وخفض المصروفات وليس بتنويع القاعدة الإنتاجية، ومبنية على سعر لبرميل النفط يبلغ 45 دولار، وتنتج البحرين نحو 200 ألف برميل من النفط الخام يومياً.

وأدى انخفاض أسعار النفط والتباطؤ الاقتصادي بسبب كورونا إلى ارتفاع توقعات العجز مع الالتزام بخفض النفقات الحكومية بنسبة 30 بالمئة خلال العامين المقبلين، ويقدر مشروع موازنة 2021، الإيرادات العامة بقيمة 2.285 مليار دينار (6.09 مليارات دولار) منها 1.407 مليار دينار الايرادات النفطية، فيما يقدر المصروفات بقيمة 3.296 مليارات دينار (8.78 مليارات دولار).

في حين يقدر مشروع موازنة 2022 الإيرادات العامة، بقيمة 2.339 مليار دينار (6.24 مليارات دولار) والمصروفات بقيمة 3.219 مليارات دينار (8.58 مليارات دولار).

وكانت الإيرادات العامة للدولة خلال عام 2017 مبلغ 2.201 قد بلغت مليار دينار، في حين بلغت في العام 2016 حوالي 1.897 مليار دينار، ما يعني أن الإيرادات زادت بمقدار 304 مليون دينار،

وبلغت الايرادات غير النفطية عام 2021 تبلغ 538،345.000، وفي عام 2022 تبلغ 555،798.000، وحسب الجهاز الوطني للايرادات فإنها تبلغ عام 2021 340 مليون، وفي عام 2022 تبلغ 360 مليون.

أما المصروفات المتكررة للدولة فستكون في عام 2021 قرابة 3.296 مليار دينار، وفي عام 2022 ستكون 3.219 مليار دينار تقريبا، وستكون مشاريع الدولة في عام 2021 مبلغ 265 مليون دينار، وفي عام 2022 سيكون المبلغ 265 مليون دينار، وأظهر الحساب الختامي للدولة للسنة المالية 2017 تراجع مصروفات الحكومة على بند "المشاريع" إلى 354 مليون دينار.

وزعت ميزانية المشاريع للسنتين الماليتين على الشكل التالي :المشاريع الاسكانية 27٪، المشاريع الشبابية والرياضية 22٪، مشاريع الاشغال والطرق 21٪، مشاريع شبكات تطوير الكهرباء والماء 16٪، مشاريع البنية الاساسية للمواصلات 6٪، مشاريع التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية 5٪.

وانخفض الإنفاق على التعليم بنسبة 7٪ أو 20 مليونا تقريبا. فبعد أن كان 343.6 مليونا في 2019 أصبح 319.6 مليونا في 2022، كما انخفض الإنفاق على الصحة بنسبة 3٪ عن 2019 أو عشرة ملايين، وانخفض الضمان الاجتماعي 10٪ بواقع 43 مليونا.

الضمان الاجتماعي

من الواضح أن الإنفاق على الصمان الاجتماعي قد انخفض بمقدار 43 مليون دينار (10٪) عن الميزانية السابقة ليصل إلى 392 مليوناً، وارتفع بند دعم الأسر محدودة الدخل بمقدار 14 مليونا، أي بنسبة (11.3٪). لكن هناك ثلاثة بنود تأثرت سلبا وهي مؤثرة في مستوى المعيشة، وعلى سبيل المثال انخفضت علاوة تحسين مستوى معيشة المتقاعدين بمقدار 16 مليونا (12.4٪). ، فيما انخفض بند إعانة المواد الغذائية بنسبة 71.5٪، حيث انخفض من 36 مليون دينار إلى 10 ملايين، كما انخفض دعم برامج الإسكان (علاوة الإيجار) بنسبة 31٪، من 57 مليونا إلى 39 مليون دينار.

حجم العجز

سيرتفع العجز الكلي بموازنة البحرين خلال العام المقبل بنسبة 99.8 بالمئة عن المقدر بالعام 2020 عند 708 ملايين دينار (1.88 مليار دولار) وستعاني السنة المالية 2021 من عجز كلي 1.276 مليار دينار (3.4 مليارات دولار)، ومع توجه لخفضه إلى 1.145 مليون دينار (3 مليارات دولار) في 2022.

تهدف الميزانية إلى الوصول بالعجز المالي الأولي بدون فوائد خدمة الدين العام إلى 568 مليون دينار (1.51 مليار دولار) في العام 2021 و388 مليون دينار (1.03 مليار دولار) في العام 2022.

وكان الحساب الختامي للدولة قد سجل انخفاض العجز العام للدولة إلى 1.336 مليار دينار عام 2017 مقارنة بالعام 2016 والذي بلغ العجز فيه 1.6 مليار، ففي عام 2017 بلغ العجز 1.336 مليار دينار، وفي عام 2016 بلغ العجز فيه 1.6 مليار.

حجم الدعم الحكومي

بحسب مشروع الميزانية، فإن إجمالي الدعم للعام 2021 سيكون 478.425 مليون دينار بحريني، و402.163 مليون دينار في 2022.

ويشير مشروع الميزانية، إلى أن دعم هيئة الكهرباء والماء سيكون 48 مليون دينار في 2021، وصفر في 2022 ما يعني أن الهيئة لن تتلقى أي دعم عام 2022، أما دعم جامعة البحرين فسيكون 38.4 مليون دينار في 2021، و38.8 مليون في 2022، وسيكون دعم كلية البحرين للمعلمين سيكون 3.309 مليون في 2021، و3.332 مليون دينار في 202، أما دعم بولتكنك البحرين فسيكون 8.393 مليون دينار في 2021، و8.494 مليون دينار في 2022.

وسيبلغ دعم الصندوق الاجتماعي الوطني، سيكون 19.1 مليون في 2021، و18.894 مليون في 2022، ودعم صندوق الضمان الاجتماعي سيكون 21.5 مليون في 2021 و21.268 مليون في 2022، أما دعم علاوة تحسين مستوى المعيشة للمتقاعدين، فسيكون 124.450 مليون في 2021 وسينخفض إلى 115.640 في عام 2022، ودعم الأسر محدودة الدخل سيزداد من 163 مليون دينار في 2021 إلى 142.448 مليون دينار في 2022، أما إعانة المواد الغذائية فسينخفض من 48.2 مليون دينار في 2021، إلى 38.975 مليون دينار في 2022، ودعم برنامج الإسكان (تخفيض الأقساط الإسكانية) فسيكون 4 مليون دينار لكل عام في 2021 و 2022.

أما المبالغ من إيرادات النفط لصندوق احتياطي الأجيال فستكون في ميزانية كل عام منهما حوالي 20.586 مليون دينار، بإجمالي 41.172 مليون دينار.

ملاحظات وحلول

أولاً: ساهمت جائحة كورونا في تعقيد الوضع المالي واذا لم تنتهي سندفع ثمناً باهظاً

ثانياً: عدم قدرتنا على تنويع مصادر الدخل يعني ان الوضع المالي سيكون اخطر حيث سنرى المزيد من سياسة التقشف وانخفاض الدعم وارتفاع السرائر والرسوم الحكومية.

ثالثاً: سنواجه صعوبة في سداد الدين. فارتفاع الدين العام يعني المزيد من التقشف واستمرار الركود الاقتصادي.

كما ذكرنا أكثر من مرة فإن الحل لا يكمن في سياسة التقشف وإنما في تصحيح المنهج الاقتصادي بحيث يتحول اقتصادنا من الاعتماد على القروض والمنح والمساعدات والاعتماد المفرط على النفط إلى الاعتماد على الذات والإنتاج المتنوع والاستثمار المحلي معتمداً على قدراتنا الفكرية والبشرية، بهذا النهج ستخلق فرص العمل المطلوبة وسنحقق النمو المستدام.

بصراحة

عشرون عاماً على ميثاق العمل الوطني

فاضل الحليبي

في الرابع عشر والخامس عشر من فبراير الجاري ٢٠٢١ يمرّ عشرون عاماً على التصويت على ميثاق العمل الوطني، في ذلك التاريخ من عام ٢٠٠١ ، حيث حصل على نسبة ٩٨,٤٪ في إجماع وطني قلَّ نظيره في التاريخ السياسي البحريني، وجاء التصويت على الميثاق ليطويَ صفحةً سوداءَ في تاريخ البحرين، بإطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين وعودة المنفيين من الخارج، بعد حقبة قانون أمن الدولة وتدابير محكمة أمن الدولة التي استمرت منذ حل المجلس الوطني في ٢٦ أغسطس ١٩٧٥ حتى تاريخ التصويت على الميثاق.

كانت أهم مطالب الحركة الوطنية والشعبية في تلك الحقبة هي إطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين وعودة المنفيين وإعادة الحياة النيابية وإشاعة الديمقراطية، وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة، وهي المطالب التي ركّزَت عليها العريضتان النخبوية والشعبية في الفترة 1992/1994، بالإضافة إلى مطلب حق المرأة في المشاركة السياسية بالترشيح والانتخاب.

لن ندخل في تفاصيل تلك الحقبة السوداء التي سبق لنا الكتابة عنها، وسنكرس قراءتنا للأحداث والتغيرات خلال العشرين سنة الماضية من التصويت على ميثاق العمل الوطني، والذي شكّل الحدث الأهم في بداية الألفية الجديدة في البحرين وفي بلدان مجلس التعاون الخليجي، حيث كانت التطلعات بأن تتطور التجربة في بلادنا نحو نقلة نوعية للتحولات الديمقراطية والإصلاح السياسي بمزيدٍ من التغيير والديمقراطية في ظل عهدٍ جديدٍ جاء ليواكبَ التغييرات والتحولات في العديد منْ بلدانَ العالم من أجل إيجاد مسارات جديدة في بنية النظام السياسي القديم، والقيام بإلغاء القوانين المعيقة للتحول الديمقراطي من الحقبة السابقة، خاصة بعد السماح بتشكيل الجمعيات السياسية والنقابات العمالية والمهنية والعديد من منظمات المجتمع المدني، وإجازة إصدار جرائد يومية وإسبوعية وتوسيع هامش الحريات العامة، حيث كان ملحوظاً النشاط السياسي والمدني في البلاد، وجرت انتخابات للمجالس النيابية والبلدية في عام 2002 بعد صدور دستور مملكة البحرين والجدل الذي أثاره، وما تلى ذلك من تطورات وأحداث سياسية متسارعة في المشهد السياسي لم يتعود عليها البحرينيون من قبل.

لكن أحداث فبراير/ مارس 2011 وتداعياتها، عادت بالأجواء السياسية المتشددة للوراء، والأسوأ من هذا حدث الانقسام بين الشعب وهو ما تتحمل مسؤوليته أطراف عدة في البلاد، حيث انحدرت الأمور نحو منعطفٍ خطير، ونشأ واقعٍ مغايرٍ للبدايات الأولى للانفتاح السياسيٍ بنقل التجربةً التيً حدثت في بعض البلدان العربية في عام 2011 فيما عرف «الربيع العربي» الذي لم تتعافَ منه تلك البلدان العربية، مع استثناء نسبي للتجربة التونسية.

فالإنتفاضات التي رفعت فيها الشعارات الثورية بالأبعاد الإنسانية: الخبز، الكرامة، العدالة، الحرية، تحولت إلى كوارث ومآسٍ وبالأخص بعد أن رُفِعَ شعارُ (الشعب يريد إسقاطَ النظام) في أكثر من بلد عربي، وتدخلت في تلك الأحداث عوامل وأطراف داخلية وخارجية غايتها ليس التغيير والديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان، وإنما إشعال نيران الفتن الداخلية من خلال الفوضى والتخريب والفرقة في المجتمعات العربية لكي لا تقوم لها قائمة لا في الحاضر ولا المستقبل، فعمقت من الأزمات الداخلية اقتصاديا واجتماعيا ومعيشياً، ولتتحول إلى معوقات كبيرة أمام توجهات التغيير والإصلاح في أي بلد عربي لسنوات قادمة، لهذا بات شعار الاستقرار والأمن من قبل بعض الانظمة السياسية العربية يتقدم على أي شعارات أو تغيّرات أخرى، ولم تقبل بأن تجري حتى التحولات التدريجية نحو التغيير و الديمقراطية، التي ستبقى مؤجلة إلى وقت آخر.

ومن المعروف الأهمية التي توليها العديد من القوى الدولية لمنطقتنا لموقعها الاستراتيجي الهام لوجود الطاقة فيها بكميات كبيرة بمخزون كافٍ لعشرات السنوات القادمة، وسوف تظلّ تدعم ذلكً الاستقرار والأمن من أجل مصالحها ولن يعني لها شيئاً إنْ برزت مظاهر الاستبداد والاضطهاد أو تكميم الأفواه للمعارضين في البلدان العربية، وسوف تتعاطى مع كل نظام حسب خصوصياته ووضعه وطبيعة علاقاتها معه.

عـودة إلى الوضع القائم في بلادنا أصبحت الثقة مهزوزة بين مؤسسة الحكم والمعارضة، بسبب تداعيات تلك الأحـداث السياسية، وما تلى ذلك من تسريع صدور قوانين جديدة تعيق من تطوير التجربة الناشئة للتحول الديمقراطي في البلاد باسم السلطة التشريعية، خاصة بعد انسحاب كتلة الوفاق منه فترة الأحداث، وما تلى ذلك من تعثر جولات الحوار الوطني، ومقاطعة انتخابات عام 2014، وما تلى ذلك من أحداث، أهمها حلّ بعض الجمعيات السياسية المعارضة، وتعقدت الأجـواء السياسية في البلاد بسبب تلك التراجعات السياسية، وهكذا عدنا لأجواء مشحونة بالتوتر والريبة وانعدام الثقة بين الأطراف المختلفة، ليتصاعد خطاب الكراهية والتمييز، يقتات منه المؤزمون الذين يعملون جاهدين من أجل استمرار تلك الأجواء المليئة بروح الكراهية والفرقة في المجتمع كيلا يخسروا المنافع والمصالح الشخصية التي حصلوا عليها.

في هذا الوضع السياسي الذي يغيب فيه صوت العقلانية والوحدة الوطنية، بالرغم من هذا يشق خطاب الرأي الواقعي والوحدة الوطنية طريقه بهدوء ليفتح ثغرة في الجدار ليؤسِّس لواقعٍ جديدٍ ناضلت أجيال عديدة من أبناء وبنات الحركة الوًطنيةً الديمقراطية في البحرين، فمستقبل البحرين ليس في الخيار الأمني، وإنمـا في مزيدٍ من الديمقراطية والحريات العامة والعدالة الاجتماعيةً والمساواة والوحدة الوطنية.

إن البحرين في ظل الوضع الاقتصادي والمعيشي الصعب بسبب جائحة كورونا وآثارها السلبية، في حاجة إلى جميع أبنائها، وعليها تقوية الجبهة الداخلية بالتكاتف والتلاحم من خلال حوار وطني شامل يناقش القضايا الحيوية والملحة يُخرجَ البلاد والعباد إلى آفاقٍ أرحب.

الحكومات النيوليبرالية ومواجهة «كورونا»

نعوم تشومسكي

التحذيرات من نفاد إمدادات الأكسجين في مدينة ماناوس بالبرازيل وصلت إلى المسؤولين الحكوميين المحليين والفيدراليين قبل أسبوع من الكارثة التي أدت إلى وفاة مرضى مصابين بكوفيد-19 اختناقاً. لكن كيف يمكن حكومة دولة حديثة – مثل البرازيل – أن تعترف بأنها لم تفعل شيئًا عندما وردت هذه التحذيرات وأنها ببساطة سمحت لمواطنيها بالموت دون سبب؟!

قاضي المحكمة العليا والمحامي العام، طالب الحكومة البرازيلية بالتصرف، لكن هذا لم يحرك إدارة الرئيس البرازيلي خافير بولسونارو. كل شيء في هذه القصة – المفصلة في تقرير المحامي العام خوزيه ليفي دو أمارال – يكشف عن مساوئ الخصخصة وعدم الكفاءة.

مسؤولو الصحة المحليون علموا في أوائل شهر يناير أنه سيكون هناك نقص وشيك في الأكسجين، لكن تحذيرهم لم يكن له أي وزن. فقد أبلغ مقاول خاص يعمل بوظيفة توفير الأكسجين الحكومة قبل ستة أيام من نفاد هذا الإمداد الضروري لمكافحة كوفيد-19 من المدينة. وحتى مع المعلومات المقدمة من المقاول، لم تفعل الحكومة شيئًا؛ وقالت لاحقًا – خلافًا لكل النصائح العلمية – إن العلاج المبكر لفيروس كورونا لم ينجح. وقد دفع عدم حساسية وعدم كفاءة حكومة بولسونارو المدعي العام أوغوستو أراس نحو الدعوة إلى تحقيق خاص. وبينما تردد بولسونارو، أرسلت حكومة فنزويلا، في عمل تضامني، شحنة من الأكسجين إلى ماناوس.

إن التطور الأخير الناجم عن مزيج الحكومة السيئ من الخصخصة وعدم الكفاءة والقسوة يعزز القضية التي رفعتها نقابات الرعاية الصحية البرازيلية ضد بولسونارو في المحكمة الجنائية الدولية (ICC) في يوليو. لكن المشكلة ليست خطأ بولسونارو وحده أو خطأ البرازيل بل تكمن المشكلة في الحكومات النيوليبرالية، كالحكومات في الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وغيرهما، والحكومات التي تتجاوز التزاماتها تجاه الشركات الربحية والملياردريات والتزامها تجاه مواطنيها أو تجاه دساتيرها. وما نراه في بلدان مثل البرازيل هو مأساة حقيقية.

لقد حان الوقت لإيجاد محكمة للمواطنين للتحقيق في الفشل الذريع لعدد من الحكومات التي لم تتمكن من مواجهة أو كسر سلسلة العدوى بكوفيد-19. وستجمع مثل هذه المحكمة المعلومات الواقعية التي من شأنها أن تضمن أننا لا نسمح لهذه الدول بالتلاعب في مسرح الجريمة، وستزود هذه المحكمة، المحكمة الجنائية الدولية بأساس متين لإجراء تحقيق جنائي في هذه الجريمة ضد الإنسانية عندما يتم تخفيف اختناقها السياسي.

وهنا ينبغي القول إنه يجب علينا جميعاً أن نشعر بالغضب. والغضب في الواقع ليست كلمة قوية بما فيه الكفاية.

الديمقراطية الهشة

جلال إبراهيم

فاجأ ترامب وأنصاره من الحزب الجمهوري الديمقراطيين والشعب الأمريكي والعالم باقتحامهم مبنى الكونجرس عشية اجتماعه للتصديق على نتائج الانتخابات التي فاز فيها جو بايدن بغالبية أصوات حاسمة.

غير أن بعض المحللين والمتابعين للشأن السياسي الأمريكي منذ وصول ترامب لرئاسة الجمهورية الأمريكية لم ينصدموا بالفعل الشنيع لترامب برفضه للخسارة في الانتخابات الرئاسية ونزوله إلى مستوى هابط في خطابه السياسي وخروجه على الأعراف الدبلوماسية في تواصله مع الأصدقاء والخصوم على مستوى الداخل والخارج. فقد كان الرجل معتوهاً ومصاباً بداء الجنون والعظمة بما يدفعه لفعل ذلك وأكثر.

ولذلك دعت صحيفة «نيويورك تايمز» إلى محاكمة ترمب أمام الكونغرس ومنعه من مزاولة العمل السياسي، وأشارت إلى مساعيه للتدخل في نتيجة الانتخابات وعلى وجه الخصوص محاولته لإقناع المسؤول الأول عن الانتخابات في ولاية جورجيا لتغيير نتيجة انتخابات الولاية والعثور على 11780 صوتاً لصالحه بما يكفي لاعتباره فائزاً بأصوات الولاية.

لكن ليس هذا موضوعنا في هذا المقال، بل ما أريد أن أسلط الضوء عليه، هو أطروحة (الديمقراطية الأرفع) التي توجد في الولايات المتحدة الأمريكية كما زعم الكثير من السياسيين والمثقفين، وما عمل على تثبيته الإعلام الرأسمالي في وعي الدول والشعوب. منذ عقود وهذا الإعلام يتغنى بالديمقراطية الأمريكية وما وصلت إليها من تفوق على كل أشكال الديمقراطية، حتى بلغ الحال بالفيلسوف السياسي فوكوياما بالقول بفكرة نهاية التاريخ كنتيجة لوصول الإنسان(الأمريكي/الغربي) إلى أعلى مستوى من الرقي والتفوق في التاريخ البشري.

لا ننفي الإرث التاريخي والتجربة الغنية للديمقراطية الأمريكية، ولكن أليست هذه الديمقراطية ذاتها من انتهكت حقوق السود ومارست العنصرية ضدهم قديماً وحديثاً؟ أليست هي الديمقراطية التي تزداد فيها ثروات الأغنياء على حساب اتساع قاعدة الفقراء؟ وأليست هي الديمقراطية التي سمحت لنظامها واقتصادها وجيشها بغزو البلدان وتدميرها ونهب ثرواتها؟ أو فرض الحصار الاقتصادي وتجويع الشعوب؟

على الكثيرين إعادة النظر في تحديد النماذج الديمقراطية الأفضل والأرفع في تاريخنا المعاصر، فنماذج ديمقراطية مميزة لدول، مثل سويسرا والنرويج والسويد، تستحق من كافة المؤسسات المحلية والدولية الاهتمام بها والاستفادة منها في بناء وتطوير التجارب الديمقراطية في الشرق والغرب.

فدولة كسويسرا بها تعدد هائل على المستوى الديني والعرقي والقومي والثقافي، ومع ذلك يعيش الجميع في أمن وسلام وحرية ومستوى معيشي جيد. أما عن السياسة الخارجية لدولة سويسرا فتقوم على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى، وإن كان يؤخذ عليها المسايرة لسياسات الدول الكبرى أو عدم الاعتراض عليها، وذلك تحاشياً للاصطدام بها.

لا بد من الإشارة أيضاً إلى كذبة التمييز بين الجمهوريين والديمقراطيين، ووصفهما بالنقيضين في سياساتهما داخل أمريكا وخارجها. فمن الملاحظ التشابه الكبير في استراتيجيات وخطط الحزبين إلى درجة التطابق. فهما لا يختلفان من ناحية العمل على زيادة تراكم المال في يد طغمة صغيرة من عُتات التجار الرأسماليين، وعلى حساب ملايين الأمريكيين الذين يعانون من مشاكل عديدة كالبطالة والعنصرية والعنف والمخدرات. كذلك لا يختلف هذان الحزبان في سياستهما الخارجية تجاه الشرق الأوسط ودول شرق آسا وأمريكا الجنوبية وقارة إفريقيا. فالعداء تام تجاه روسيا والصين وإيران وكوبا وفنزولا وكوريا الشمالية وفلسطين. قد تختلف الأساليب إلا أن الاستراتيجيات والأهداف واحدة.

ومن المثير للانتباه الحديث المتكرر من الجمهوريين والديمقراطيين في دعم الشعوب في الحصول على الديمقراطية وتعزيز حقوق الإنسان والتنمية فيها. غير أن الواقع يُشير إلى وقوف الإدارات الأمريكية المتعاقبة مع الأنظمة المستبدة في إفشال كل حركة وليدة نحو تحقيق الديمقراطية، وذلك من أجل المحافظة على مصالحها الاقتصادية والسياسية التي تتناقض مع الطموحات التقدمية العادلة لهذه الشعوب.

لقد أثبتت العقود الأخيرة من القرن العشرين، والعقدين الماضيين من القرن الواحد والعشرين على هشاشة الديمقراطية الأمريكية، فقد سجلت حضوراً سيئاً في إيجاد الحلول لمشكلتي البطالة والعنصرية وتضييق الفجوة الواسعة بين الأغنياء المترفين وعامة الأمريكيين. بينما شكّل الحضور الخارجي للإدارات الأمريكية الحاكمة وصمة عار في تعاملها مع قضايا الشعوب والدول المختلفة، حيث أشعلت العديد من الحروب ونشرت الدمار في مختلف قارات العالم، بدلاً من المساهمة في إيجاد الحلول الناجعة لها.

والغريب أن العديد من المثقفين والسياسيين من العرب وغيرهم يُريدون أن يقنعوا الرأي العام الدولي وكافة الدول والشعوب بالاقتداء بالديمقراطية الأمريكية حصراً، وبلا خجل.

أمريكا بعد الانتخابات

أفـــول زمـــن الثـــوابـــت

عبد الجليل النعيمي

تشي كل الأمور بأن أميركا دخلت مرحلة طويلة من النزاعات الداخلية. وفي مقالة سابقة («التقدمي»، عدد 157) بحثنا وإياكم في الجذور الاجتماعية الاقتصادية لما جرى في الانتخابات الأميركية. وبناء على تحلينا السابق لا يكمن الأمر في الخصومة السياسية بين ترمب والديمقراطيين وحتى مع قسم من الجمهوريين. ورغم الدهشة التي يثيرها مسلك ترمب السياسي فقد هيأ هذا الرجل لتمزيق «مختلف الأقنعة» التي كشفت عن مجمل مركب المشاكل الاجتماعية الاقتصادية التي لم يعمل أحد في أميركا على حلها منذ عقود طويلة، حتى انفجرت مواجهات اجتماعية سياسية حادة وانقساماً مجتمعيا خطيرا. «بفضل» مواصفاته الخاصة استدعى ترمب إلى الظهور كل «الأرواح» الممكنة – من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار في صراع بين «أميركتين» مختلفتين. الأولى – أميركا المحافظة والتقليدية التي تضرب بجذورها في تصور الوافدين الأوائل، القادمين من أوروبا، الباحثين عن الحرية الفردية و«القرن الذهبي» المتميز عن الآخرين. الثانية – أمريكا الليبرالية، المرتبطة بطاقات الإبداعات الاجتماعية وغيرها، التي حولت أميركا على مدى 150 عاما من مُنزَو فخور بذاته إلى مهيمن في السياسة العالمية. هذه الاصطفافات – المشاكل تراكمت منذ ثمانينات القرن الماضي، فطفت على السطح في شكل ما سمي «بالحرب الأهلية الباردة» التي باتت تهدد مستقبل أميركا.

قد يتراجع لبعض الوقت أنصار ترمب، وليس أنصاره فحسب، بل، ببساطة، خصوم بايدن، لكن ليستجمعوا قواهم ويعيدوا تنظيم أنفسهم على مستوى أفضل. ويصعب تقدير كم ستكون شدة الموجة القادمة، وبأي قدر ستستعر الصدامات. ولا يخفف من الخطورة تصوير أجهزة الإعلام الوضع بأنه قريبا ستتم معاقبة «الإرهابيين الداخليين»، وستعود المياه إلى مجاريها. كان من الواجب استيعاب خطوة المحتجين على أنها إشارة جدية بأن السياسيين يعملون تماما على غير ما يجب، وأنهم لا يجيدون حتى التداعي فيما بينهم للوصول إلى مساومات تاريخية. والآن صارت الأرض تميد من تحت أقدامهم، بينما هم ملتهون بلعبة العزل. لقد ضرب العجز تفكير النخب الأميركية. ويبدو كما لو أن الوحش النائم في أحشاء المجتمع الأميركي قد استيقظ من سباته.. أيقظته حماقات المعالجات الراهنة.

ومع كل حلقة جديدة في حلزون تاريخ هذا البلد يصبح التعايش أكثر صعوبة بين هذين النموذجين. لكن الأزمة الأميركية الداخلية تزداد وطأة لكونها تندلع في ظروف تغيرات مجمل النظام العالمي وتشكل جزءا منه. وهذا ما يفسر جزئيا حمأة النزال البعيدة عن أن تبرد. أصبح اختلال النظام الاجتماعي السياسي جدي للغاية. الليبراليون يستشعرون إمكانية النصر المؤزر – العوامل الديمغرافية والتكنولوجية تبدي شديد الضغط على أميركا التقليدية. والجمهوريون يدركون ذلك جيدا، ولذلك يسترشدون بمنطق «لا خطوة للوراء!».

وجود ترمب كرمز في هذا الصراع كهرب هؤلاء وأؤلئك. والحيلولة دون عودته إلى الرئاسة بنتيجة انتخابات 2024 أصبحت هدفا مقدسا. لذلك غدت مسألة «العزل» قضية القضايا لدى الديمقراطيين، رغم أن ترمب لم يعد رئيسا. ويَرشَح من نوايا الجمهوريين الآن أنهم عازمون على طرح ثلاث قضايا عزل لبايدن في المراحل القادمة لإرباكه طوال فترة رئاسته، إن أكملها بصورة طبيعية دون أن يتنازل لصالح نائبته كمالا هاريس.

في ظل هذا الصراع العديم الآفاق بالنسبة لأميركا يزداد التذمر الشعبي من الرأسمالية ومن بنية المجتمع الأميركي حجما وعمقا. وأظهرت عدة استطلاعات للرأي ميلا متزايدا لدى قسم واسع من السكان نحو الأفكار الاشتراكية. لكن ذلك لا يقابله طرح نظري يقدم البدائل، حتى من جانب اليسار الحقيقي للأسف. ما تيسر لنا الإطلاع عليه من طرح اليسار لا يتعدى لحد الآن أهداف التحالف المرحلي بين تيارات اليسار المختلفة والحزب الديمقراطي والضغط لتعديل بعض الجوانب الاجتماعية في البرنامج الانتخابي للرئيس بايدن ووسائل تطبيقاتها بعد الانتخابات. وهذا مبرَر تكتيكيا، لكن حركة من يتطلعون صوب الاشتراكية لن تمتلك اتجاهها الهادف والفاعل ما لم تستند إلى نظرية ثورية تعالج تطور الرأسمالية في مرحلة هيمنة الرأسمالية المالية الاحتكارية وأزمتها المستفحلة، وتطرح البدائل. فالناس تعرف أن كل شيئ سيئ وأنها سئمت من ذلك، لكنها لا تجد حلولا. قسم آخر من اليسار يبدو مشوش الطرح. نعوم تشومسكي ناقد مرير للرأسمالية، لكن ما الذي يطرحه بديلا؟ مع كل الاحترام له، أشبه بالأناركية السنديكالية. أما برامج بيرني ساندرز فتحوم في إطار «اليسار الليبرالي».

وفي ذات الوقت لا تملك الطبقات المسيطرة أية حلول لأزمتها بالمرة. بدلا من ذلك تُكثِر الحديث عن الشيوعية، وخصوصا الحزب الشيوعي الصيني لغرضين : كتوظيف لهذه «الشتيمة» للنيل من هيبة الصين وتفوقها الاقتصادي الملحوظ في المنافسة بين البلدين، والمقررة لمعالم تطور عالم المستقبل، ومن جهة ثانية كفزاعة – حذار من التوجهات الداخلية صوب «الشيوعية». إذن إلى أين ؟ لا أحد يعرف.

كل هذا كان يمكن أن يعتبر أمرا أميركيا خالصا، لو أن أميركا لا تحتل مكانة عالمية متميزة. وآفاق خضات أميركا تقلق الكثيرين بسبب آثارها المحتملة على بقية البشرية. لكن هذا الأخير ليس قدراً مطلقاً، لسببين : أولا، أن انخفاض مستوى الهيمنة الأميركية العالمية يحدث حتى بدون النزاعات الداخلية الأميركية، أي بحكم التطور العالمي العام. ثانياً، بالمقاييس التاريخية عانى العالم الإنهيار المنظومي لدولة عظمى – الاتحاد السوفييتي، لكنه تكيف مع ذلك بسرعة معقولة.

ربما الإنجليز، الأكثر دهاء، أكثر من أدرك هذه الحقائق منذ زمن. وهم يعرفون جيدا كيف ينجون بأنفسهم. ويبدو أنهم ليس اعتباطا قفزوا من على ظهر سفينة «الاتحاد الأوروبي». كما يبدو أنهم سيكيفون لصالحم حدث وفاة البارون بنجامين دو روتشيلد الشهر الماضي. وهو رئيس مجلس إدارة شركة «إدمون دو روتشيلد» القابضة التي تشرف على المجموعة المالية الفرنسية السويسرية. هذا الحدث سيهيئ للفرع البريطاني من عائلة آل روتشيلد الصعود في عالم المال كونيا.

كما أن مناطق أخرى في العالم بدأت منذ زمن في رسم ملامح نظمها الإقليمية الخاصة ابتعادا عن المركزية الأميركية. ومما تقدم، ومع انتظار ومراقبة ما سيحدث في أميركا، يبدو أننا نقترب من لحظة إعادة صياغة جذرية

للعالم – عالم بلا أميركا التي ستستغرق وقتا طويلا لإعادة بنائها الداخلي. نأمل أن يجدوا تلك الحقيقة والعدالة ويعودوا للعالم الكبير مُجدَّدين.

لكن ماذا عن وضعنا الإقليمي في هذا العالم المتغير بتسارع نحو اللامركزية، وانتهاء حقبة قيادة دولة أوحد لمجمل العالم وتقرير مصائره؟ الرئيس السابق ترمب استعار من مبدأ الرئيس نيكسون «سياسة الركيزتين» (إيران الشاه كقوة عسكرية ضاربة في المنطقة + السعودية كصُرَّة المال) لترتيب أوضاع منطقة الخليج وتبعا لذلك الجزيرة العربية وكامل الشرق الأوسط. على أن تقوم هذه الركائز بضبط أوضاع المنطقة. ترمب يتبع ما يشبه هذا المبدأ تمهيدا لابتعاد أميركا تدريجيا في سياق شعار «العودة إلى الدار» الذي آمن به. وواضح أن الرئيس الحالي جوزيف بايدن سينسف مبدأ ترمب (هنا كما في كل شيئ)، ويعود أدراجه إلى رؤية رئيسه السابق باراك أوباما تجاه الخليج والجزيرة العربية، بما يعني إحداث توازن للقوى في المنطقة بين إيران وجاراتها الخليجية، مع إعادة إيران إلى المجتمع الدولي وعودة الأطراف المعنية إلى الاتفاق النووي الإيراني، وإنهاء حرب اليمن.

وهكذا تتبدل الاستراتيجيات الأميركية تجاه المنطقة مع تبدل الإدارات الرئاسية الأميركية. وبافتراض جاء الجمهوريون إلى الرئاسة بعد الانتخابات القادمة 2024 فستتبدل الاستراتيجية الأميركية نحو المنطقة من جديد. فأين رؤية دول المنطقة الخاصة إزاء أمنها الإقليمي الذاتي؟ هذا السؤال يطرح نفسه الآن بأضعاف قوة إلحاحه وحيويته في ظل المتغيرات الجديدة في الأوضاع الأميركية – العالمية، المتسمة بتراجع المركزية الأميركية وريادتها للعالم !!

محمد المحفوظ

عقلك ليس للإيجار

كم كان محقا ذلك المفكر الذي قال ذات يوم "لا تدع الآخرين يستأجرون مساحات من عقلك وتفكيرك... ارفع قيمة الإيجار واطردهم جميعا خارج عقلك". إنّ ممارسة التفكير الحر بعيدا عن هيمنة الآخر هو جوهر الوجود الإنسانيّ، لماذا ندع الآخر يفكر بالنيابة عنا؟ ألا نملك عقولا وأفئدة تضاهي مالديهم وتفوقها أيضا... لعل من أكبر العاهات التي أصيب بها الفكر العربي توقف الفرد عن التفكير وترك هذه المهمة للآخرين دون إدراك للعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك. إحدى الكوارث الناجمة عن هذا الأمر وأشدها خطرا أنه يخلق جيلا فاقدا للثقة بنفسه وبالآخرين، وها يعني أننا كأمة أصبحنا عالة على أفكار الآخرين ومستهلكين لنتاجاتهم الفكرية والإبداعية. الفكرة ذاتها طرحتها الرواية ذائعة الصيت "مزرعة الحيوان" للكاتب جورج أورويل والإشكالية التي عالجتها الرواية تتلخص في السؤال التالي: هل نحن من نقرر مصائرنا أم يقررها الآخرون بالنيابة عنا؟ و"الآخرون" هم كل من يقف واعظا للناس. الروائي أورويل يؤمن بقدرة الإنسان على تصحيح مسار حياته والتغلب على الصعوبات والتحديات التي تواجهه وهذا لن يتحقق إلاّ بممارسة حق التفكير وحده وألاّ نترك هذه المهمة بالغة الأهمية للآخرين للتفكير بالنيابة عنا. قد تبدو مهمة التفكير المستقل ليست بالسهولة الممكن تخيلها، ذات مرة قال مفكر عربي إنّ أي إنسان يحترم ذاته عليه أن يسمو بخطابه جدا ويجعله قادرا على استفزاز مكامن النقد في عقل المتلقيّ والتركيز على صناعة الأنداد بل الأعداء لا الأتباع".

من يتأمل واقعنا لابد أن يلحظ أنّ هناك جيلا تربى على أفكار من يسمون بـ "الرموز" وفي المقدمة منهم الوعاظ والمعلمون ونتيجة للممارسة الخاطئة لفئة منهم أفرزوا أتباعا لهم عصابيين مهووسين بأفكارهم إلى حد تقديسهم، ويروى أنّ الثائر الكردي عبدالله أوجلان قال مرة لأتباعه "لقد صنعتم مني ثرثارا" في إشارة واضحة إلى تحول أتباعه إلى مجرد كائنات مستلبة فكرياً. كما يذكر أنّ أرسطو بخلاف فلاسفة عصره كان محروماً من الأتباع الذين يرفعونه إلى مرتبة الأنبياء والقديسين ذلك أنه لم يلجأ إلى أسلوب التلقين بل اتبع أسلوب المحاورة والمشاركة.

في بيتنا «كورونا»

تلقينا كل المعلومات المفصلة عن جائحة كورونا ربما قبل غيرنا من الناس على أثر التحذيرات التي بلغتنا مباشرة من شقيقي استشاري الامراض المعدية والعناية المركزة الدكتور طارق الموسوي،وهو الذي افشل كل خطط السفر لدينا منذ مطلع عام ٢٠٢٠بل واقنع البعض منا على إلغاء الحجوزات المسبقة فورا قبل التحذير الرسمي من السفر،وهو الذي ارتدى الكمامة قبل غيره،وهو الذي حذرنا من سماع أصوات «مؤامرة الجائحة « ،هل من السهل تجاهل صيحات تنطلق من داخل البيت ومن أقرب الناس إليك ؟
ومع كل تطور شهدناه على مدى عام كامل كنا نتلقى محاضرة مباشرة واقعية على الارض او افتراضية عبر زووم تعرفنا بآخر المستجدات حول الجائحة ، وقلنا لن تقربنا كورونا مع شقيق واقف لنا بالمرصاد نصحا وتثقيفا وتحذيرا.

عصمت الموسوي

ولقد ظلت كورونا عصية علينا كأسرة منذ الإعلان عنها في ديسمبر الماضي ولغاية ديسمبر 2020 رغم الحجر الذي وقع على بعض منا نتيجة مخالطة مصابين من هنا وهناك، اجرينا الفحوصات المرة تلو الاخرى ومنحتنا النتائج السلبية اطمئنانا وراحة نفسية وشعورا بالتفوق الصحي في مواجهة كورونا،و تساءلنا : اهي المصادفة أم التقيد بالتباعد الجسدي أم سر آخر لا نعرفه عن سلوك هذا الفيروس الغريب الغامض وكيفية اختياره لضحاياه ؟

ودخلنا الى مرحلة الذروة في الصيف الماضي حين قفزت اعداد المصابين والوفيات ،ومرة اخرى سلمت عائلتنا رغم مجلس العزاء المقتضب المحدود الذي اقمناه على اثر وفاة والدتي ،ثم لاحقا أي في الأشهر التالية بدا وكأن الوضع الصحي يتجه الى الانفراج والانفتاح ومعاودة السفر والعودة الى الحياة الطبيعية مع انطلاق موجة اللقاح في بلدنا وفي كل مكان في العالم ، وبدأت تصلنا عروض السفر المغرية على هواتفنا النقالة،لكن حارسنا الصحي الدكتور طارق ظل يحذر ،انتبهوا من السفر فلا يزال الوضع قابلا لكل الاحتمالات ، وثمة خشية من إغلاق الملاحة الجوية والبحرية لأي سبب خصوصا وان كثير من المناطق السياحية الجذابة يعشش فيها المرض وتخلو من الرصد والمتابعة اليومية لحركة الفيروس.

في شهر ديسمبر الماضي رصدت بريطانيا التي تعد البلد الأول في الاصابات والوفيات، رصدت ما اسمته بالفيروس المتحور وتحدثت عن موجة ثانية للفيروس الذي بدا أكثر شراسة واسرع انتشاراً، وتميّز باصابة أعداد كبيرة من الشباب على عكس الفيروس السابق، فأعادت إغلاق أجوائها ومنافذها البرية والبحرية وتبعتها دول أخرى، وما هي إلا أيام حتى وصلتنا رسالة على «جروبنا» العائلي من أختي العائدة لتوها من رحلة سفر سياحية تنبأنا باصابتها بـ كورونا، ثم وبعد عدة أيام سجل أحد افراد الاسرة اصابة أخرى بعد عودته من السفر أيضاً، وهكذا تبين لنا ان لا عاصم من كورونا ولا ميزة صحية او جينية لأي مخلوق انساني قبالته، وأن التعاطي مع الفيروس بوعي وحذر وانتباه هو السبيل الوحيد لاتقاء المرض ولا شيئ آخر على الإطلاق، وهكذا أغلقنا المكان الذي نجتمع فيه، وآخر حضن جميل بقى لنا في ظل الجائحة التي تسببت في إغلاق كل الانشطة الترويحية، انفض سامر مجلسنا العائلي الذي لم يشهد اغلاقا حتى في أحلك الظروف، وبدا مساء الخميس كئيبا وموحشا ومفتوحا على كل احتمالات صيرورة فيروس كورونا.

لا أحد يعلم متى وكيف أصيب، وهل ستمنحه الإصابة وقاية دائمة أو مؤقتة؟ ارتبطت الاصابة به بالخصوصية الصحية والخشية من الوصمة المعيبة ما جعل الناس يفضلون الصمت والكتمان أو الاختفاء بدلا من الإفصاح الموجب للحيطة والحذر، فلا تعرف المصابين في محيطك او أقرب الناس اليك أحيانا.

ثمة حكايات عديدة نسمعها ولا نرى اثرا لها في الصحافة، وبالتأكيد فقد كان للاسر الممتدة التي يعيش أفرادها في بيت واحد ويتشاركون المائدة الواحدة النصيب الأكبر من إصابات كورونا. وثمة حكايات لا يزال يكتنفها الغموض والحيرة فقد عزل أحد المسنين نفسه تماما منذ انطلاق الجائحة لكن مجيئ اول حفيد له حفز والدته على أخذه إلى جده فأصيب الطفل بالمرض وكانت أصغر إصابة لمولود لم يتجاوز عمره عدة أيام، وبقي السؤال من الذي نقل المرض للآخر وكيف يصاب بالمرض شخص معزول؟ وثمة مسافرين خضعوا للفحص لحظة وصولهم إلى المطار وجاءت النتيجة سلبية ثم تبينت اصابتهم بعد عدة ايام، وعن عائلة اصيب ابويها ونقل كلاهما إلى المستشفى، وقد أحيطت الام بعناية مضاعفة على خلفية تعدد أمراضها إلا أنها نجت وتوفي الأب، وعن إصابات متكررة للفيروس لدى بعض المصابين، وعن أعراض غريبة وغير مألوفة صاحبت الإصابة بالفيروس كتساقط الأسنان أو الشعر لدى بعض المتعافين.

حتى اللقاح الذي تراكض الناس للحصول عليه اتقاءا لشر كورونا – والذي لا يعني الحماية المطلقة للفيروس كما هو معروف – منح الناس إحساسا كاذباً وزائفاً بقرب النهاية فتساهلوا وعادوا إلى مألوف عاداتهم في الاختلاط والالتصاق ومخالفة القواعد الصحية ،فشهد البلد قفزة جديدة في أعداد المصابين، وكله على وقع تفكير رغائبي بأن الفيروس قد أفل أو شارف على النهاية.

مؤخراً دخلت محلا تجاريا فإذا بي امام مجموعة موظفين بلا كمامات، استفسرت بعجب مشيرة إلى انعدام الكمامة، فأجابني أحدهم: ألم ينتهِ الفيروس؟ مثل هؤلاء يصابون وينقلون المرض لأقربائهم بسهولةَ ثم يتساءلون باستغراب كيف أصبنا؟

تحصل في احسن العائلات ولدى أحسن الناس، لا نجاة من الفيروس إلا بالحذر، الخطر لا يزال موجودا كما يشير عنوان المرحلة. انتقلنا من فيروس مستجد إلى متحور، وقد نشهد جيلاً جديداً للفيروس بعد الطعوم في قادم الأيام، من يدري؟

عندما تذهب «كورونا»

«لين تخلص الكورونا» – من منكم لا يسمع هذه العبارة بين حين وآخر، إنها متداولة على نطاق واسع الآن بين الناس، وها هو عام ٢٠٢٠ الذي هو عام الجائحة بامتياز قد انتهى، ودخلنا عام ٢٠٢١ فهل تراه سيكون أيضاً عاماً آخر ل «كورونا»، أم أننا سنغادرها وتغادرنا وتصبح ماضياً؟

نعيمة السماك

ما أن أطلب من أحدهم شيئا حتى يأتي الجواب جاهزاً: «لين خلصت الكورونا»، وهذا مفهوم لأن كل منا عانى بشكل أو بآخر من تداعيات الجائحة، وعلى مدى عام كامل فقدت العديد من الأرواح على مستوى العالم، كما أن الكثير من الدول أغلقت مطاراتها، وتوقفت حركة السفر بشكل كبير، وحتى مع إعادة فتح المطارات مازالت حركة السفر محدودة.

كم هو مؤلم، أننا لم نستطع ان نعزي أصدقائنا وأحبائنا في فقدهم لأهلهم لأحبائهم الذين رحلوا دون مراسم العزاء الاعتيادية، ولم يسنح للآخرين تقديم التعازي بالشكل الاعتيادي. تقول إحدى الصديقات: هرعت دون تردد إلى المقبرة بعد سماعي وفاة أحد الأصدقاء الأعزاء، وفي المقبرة لم أتمالك نفسي واحتضنت ذويه. لكني كنت قلقة جداً حين عدت الى المنزل.

ورغم هول ما حدث ويحدث، فإن إرادة الحياة ستبقى أقوى. فالعديد من الزيجات تمت، حتى لو اقتصر الحضور على الأهل وقلة من الأصدقاء، ومع ذلك فإني أعرف أن بعض الأهالي أصيبوا بعد إقامة مراسم عقد القرآن لأبنائهم.

حملتنا ظروف الجائحة على ان ننتبه لأنفسنا أكثر، بقينا في منازلنا فترات أطول، أعدنا ترتيب بيوتنا، اكتشفنا متعا أخرى غير متعة السفر، لكننا افتقدنا الكثير، ولعل أكثر ما افتقدته هو اللقاءات الثقافية، ومع أنها أصبحت تتدفق بكثرة عبر برنامج»زووم» والكثير من وسائل التواصل الاجتماعي، لكن ذلك لا يعوض عن اللقاء الطبيعي وجهاً لوجه.

على مستوى العائلة كان هناك تخوف كبير، فامتنعنا عن لقاءنا كل أسبوع منذ مارس الماضي، ومع أني كنت حذرة ولكني لم أبالغ في مخاوفي، فكنت أتسوّق بشكل طبيعي، وقمت ببعض الزيارات التي لم يتجاوز عدد الحضور فيها العدد ثلاثة أو أربعة، استمتعت في حدود المتاح، فالمبالغة في التهويل لها أثر سلبي.

(لين خلصت الكرونا) أمر لم يعد يعنيني. ما يعنيني هو استثمار الوقت على أحسن صورة، فحياة كل فرد فينا معدودة ومحدودة، فلماذا نضيعها في الانتظار دون جدوى؟ كل ما نحتاجه الآن هو التعايش والتقبل. بالرغم من أن حدة الخوف بدأت تقلّ، خاصة مع بدء التطعيم باللقاح، ما يجعلنا نأمل في أن الوباء سيخف تدريجياً، ولكننا ما زلنا في الحال التي لم نكن نتخيلها قبل عام، في أن نرى الناس تمشي وتؤدي أعمالها وهي مغطية وجوهها. فكلما مشينا في الشارع، أو ذهبنا لقضاء بعض الأمور تجد الناس ونحن ضمنهم، يضعون الكمامات.

لتداعيات جائحة «كورونا» دورس وعبر عظيمة للفرد وللمجتمع وللحكومات، حيث كشفت المستور، سواء كان هذا المستور على مستوى الفرد او الحكومة وعلى مستوى الناس والعلاقات، وانكشفت المعادن. ونحن الذين كنا ننبهر كثيراً بالدول الأوربية، والولايات المتحدة الأمريكية، وجدنا أن دولنا أكثر احترازاً ووقاية في أنظمتها الصحية. ربما عرفنا أن علينا أن نقدر النعم التي حولنا وتحيط بنا ولم نكن نقدر قيمتها.

قالت لي احدى الصديقات بعد أن أعيد فتح المطاعم عندنا في البحرين، دعينا نخرج بعد حبس طويل، وافقتها وخرجنا. كان المطعم مملوءاً، كنا نرتدي الكمام، ولكننا ازلناه عند الأكل، وتبادلنا الأحاديث الشيقة.

بالرغم أنى أرى الآن أن الوضع أصبح أقلّ اخافة ربما عند البعض. وكان الناس فريقين خلال الجائحة، بعضهم لم يصدق ولم يهتم ومارس حياته بشكل طبيعي، فيما بعضهم الآخر لم يوقف ابداً تجمعاته العائلية. بعضهم التقى بحذر، فيما بعضهم الآخر امتنع تماماً.

ما أود قوله، خلاصة، أن تنتهي «كورونا» أو لا تنتهي أمر ليس في أيدينا، وليس تحت سيطرتنا. ولكن ما في أيدينا هو التكيّف مع الوضع الراهن، والاستفادة بقدر الإمكان منه. لا أن نبقي حياتنا معلقة، ونبقى اسرى الانتظار الذي لن ينتهي. علينا التعامل مع الظرف، مع اللحظة ولا أعتقد أن الحياة سوف تتوقف.

تستطيع أن تزور أهلك مع الاحتراز وترك مسافة آمنة، تستطيع التسوق بقدر وأنت محتاط، تستطيع التنزه على البحر، وممارسة رياضة المشي، تستطيع القراءة والبحث والاستماع إلى الموسيقى، الرسم والغناء. ثمة أمور كثيرة تستطيع أن تمارسها وأنت في بيتك. ربما اكتشفنا اننا نستطيع ممارسة العمل من البيت. ونستطيع عمل أشياء كثيرة. وأن المتع قد تكون موجودة لدينا بالداخل وليست بالضرورة الجري خلفها بالخارج. وأن المتع ليست مقتصرة على السفرات والرحلات فقط.

لذلك أقول بكل ثقة إن «كورونا» ليست كلها شر، فلا يوجد ربح مطلق ولا خسارة مطلقة. علينا ألا نجعل الوباء يشلّ تفكيرنا. ولا أنكر أنني افتقد التجمعات العائلية واللقاءات الثقافية، ولكن حتى تنفرج الأمور أستطيع أن أمارس حياتي بقدر المتاح. فالحياة مستمرة وعلينا أن نتلاءم مع ظروفها.

إنجلز ضد ماركس*؟

مائتا عام من فريدريك إنجلز (٢-٣)

إن أقرب دليل قاطع لتأييد ماركس لإطروحة الإختلاف هو رسالة مُضحكة كتبها إلى إنجلز في الأول من أغسطُس/آب عام ١٨٥٦. ويؤكد كارفر، في هذه الرسالة، كيف اشتكى ماركس في هذه الرسالة من كتابة أحد الصحفيين لهُما كما لو أنهما شخص واحد. وكان الكاتب المعني هو لودويغ سايمون Ludwig Simon، نائب مُهاجر من جمعية فرانكفورت عام ٤٩-١٨٤٨، الذي أظهر ما أسماه ماركس "ميلاً" غريباً للغاية للتحدث عنا في صيغة المُفرد "يقول ماركس وإنجلز" إلخ..." "والآن، خارج النص المكتوب المُشتَرَك، هذه العبارة بأي مقياس هي شاذة نحوياً. ومع ذلك، في مزاحه حول "النواح" الذي كتبهُ سايمون بشكل سيئ، كتب إلى صديقه القديم أنهُ "عاجلاً سوف يملأ رغوة الصابون أو يشربها مع زرادشت على شخ البقرة الساخن بدلاً من قراءة كلُ تلك الأشياء"- كتب ماركس في الواقع عن النكات التي أطلقها إنجلز أثناء الثورة كما لو كانت تخُصهُما "في صيغة المُفرد": حتى النكات التي أطلقاها على سويسرا في الريفيو" تملئهُ بالسُخط."

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Paul Blackledge

وبالرغم من زعم كارفر بأن ماركس "لا يقول شيء إيجابياً" في هذه الرسالة "أو في أي موقع آخر بأي مقياس حول معايير الفصل والتداخل بينهُ وبين إنجلز، فإن الحقيقية هي أن ماركس استخدم مِراراً وتَكراراً المُصطلحات نحنُ، لنا، ونحنُ عند الإشارة إلى علاقته السياسية والنظرية مع إنجلز. وعلى الرغم من أن تعليقاتهِ على هذه العلاقة قد لا تكون مكتوب «مُطولاً»، إلا أن الأدلة الموجودة تدعم بشكل ساحق الإدعاء بأن ماركس كان يعتقد أنهُ كان مع إنجلز شراكة فكرية وسياسية فريدة. ولعل تعليقهُ الأكثر شُهرة حول أهمية تعاونهُ مع إنجلز موجود في مُقدمة عام 1859 لـ مُساهمة في نقد الإقتصاد السياسي:

فريدريك إنجلز، الذي حافظت معهُ على تبادل مستمر للأفكار عن طريق المُراسلة مُنذُ نشر مقالتهُ الرائعة حول نقد التصنيفات الإقتصادية ... وصلتُ بطريق آخر (قارن حالة الطبقة العاملة في إنجلترا) بنفس النتيجة عندي، وعندما جاء في ربيع عام 1845 للإقامة في بروكسل، قررنا أن نضع معاً مفهومنا على عكس المفهوم الأيديولوجي للفلسفة الألمانية، في الواقع لتصفية الحسابات مع وعينا الفلسفي السابق.

بعد عام، في 22 تشرين الثاني/نوفمبر 1860، أعاد التأكيد على هذا الإدعاء وعززهُ بالفعل في رسالة إلى بيرتالان زيمير Bertalan Szemere أصرَ فيها على أن إنجلز "يجب" "اعتباره كبريائي المُتغير". أما فيما يتعلق بقُدرات إنجلز الفكرية، فقد كتب ماركس إلى أدولف كوس Adolf Cuss، في 18 تشرين الأول/أكتوبر 1853، أنهُ "لكونه موسوعة علمية حقيقية مُتنقلة، فإن إنجلز "قادر، سواء كان مخموراً أو رصيناً، على العمل في أي ساعة من النهار أو الليل، (فهو) كاتبٌ سريع وشيطاني سريع الإستيعاب."

وبدورها، كتبت إلينور Eleanor إبنة ماركس بأن والدُها إعتاد أن يتحدث مع رسائل إنجلز "وكأن الكاتب هناك أمامه،" يتفق، يختلف، ويضحك أحياناً "حتى تنهمر الدموع على وجنتيه." وعن صداقتهُما كَتَبَت، "لقد كانت تلك التي ستُصبح تاريخية مثل صداقة دامون Damon و بيثياس Pythias في الأساطير الإغريقية." وبالمثل، ذكر بول لافارج Paul Lafargue، صهر ماركس، بأن ماركس "يحترم (إنجلز) باعتباره الرجل الأكثر علماً في أوروبا" و "لم يتعب أبداً من الإعجاب بعالمية عقله". في الواقع، خلافاً لإقتراح كارفر الذي لا أساس لهُ والتشهير الصريح للسمعة بأن ماركس التزم الصمت إنتقاداته لعمل إنجلز بسبب "فائدة موارد إنجلز المالية"، فإنهُ لا يمكن تصور أي شخص سوى "الرجل الأكثر علماً في أوروبا"، وإلى جانب ذلك، يمكن لواحد من أعظم النُشطاء الثوريين في ذلك الزمن أن يُحافظ على شراكة مُتساوية مع رجل في مكانة ماركس لمدة أربعة عقود تقريباً. كما كتب كريس آرثر Chris Arthur، إن مُحاولات التقليل من تأثير إنجلز على ماركس غير عادلة لماركس مثلها مثل لإنجلز: "لم يكن ماركس أبداً من يحكم باستخفاف على أوجه القصور الفكرية للآخرين، ومع ذلك فقد اختار تشكيل، مع إنجلز من بين جميع مُعاصريه، شراكة فكرية وثيقة.

تم التأكيد مُجدداً على تقدير ماركس لأهمية تعاونه مع إنجلزفي كتابهِ المنسي إلى حد كبير "السيد فوغت/ Herr Vogt (1860). في تعليق على مقال إنجلز "نهر بو ونهر الراين/ Po and Rhine"، الذي كتبهُ ماركس ، ونُشِرَ "بموافقتي" والذي وصفهُ بأنهُ يُقدم كلمة إجلانية (نسبة إلى إنجلز) "علمية" سيئة، وهذا "يُثبت عسكرياً" أن ألمانيا لا تحتاج إلى أي جزء من إيطاليا من أجل دِفاعاتها، "وكتب أنهُ وإنجلز يعملان عموماً على خِطة مُشتركة وبعد إتفاق مُسبق". وبالرغم من الحقائق القائلة بأن ذلك البيان الذي لا لبس فيه المكتوب على الورق، وأن درابر Draper سلط الضوء عليه في نظرية الثورة لكارل ماركس، فإنهُ يميلُ إلى تجاهلهُ من قِبل أُولئك الذين يهدفون إلى فرض الإنقسامات بين ماركس وإنجلز.

ولم تنتهي تعليقات ماركس المُفضلة لديه حول تعاونه مع إنجلز في عام 1860. بعد سبعة عشر عاماً، في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1877، في رِسالة إلى ويلهلم بلوس Wilhelm Blos، كتب عن "أنا وإنجلز" و "نحنُ" عند استعراض المواقف السياسية السابقة لديهما سبق أتخذاها معاً. والشيء الأكثر أهمية، في رسالة لأدولف سورج Adolph Sorge مؤرخة في 19 أيلول/سبتمبر عام 1879 - كُتبت مُباشرةً بعد صدور كتاب «ضد دوهرنغ Anti–Dühring" وقبل أقل من أربع سنوات من وفاته - يُثبت ماركس الدرجة العميقة من التعاون بينهُ وبين إنجلز. لقد كتب ليس فقط عن "وثيقة اتفاق" أن إنجلز يعتني بـ "شئوون العمل والعمولات" أثناء تواجدهِ بعيداً في إيجازة، بل كتب أيضاً عن كتابة إنجلز للرسالة الدورية الشهيرة آن ذاك في عام 1879 إلى قيادة الحزب الإجتماعي الديمقراطي الألماني بإسميهُما والتي بها "يتم تحديد وجهة نظرينا بوضوح". وفي غضون ذلك، كتب عن "موقفنا، "دَعمنا"، "نُتمسك بـ"، أنا وإنجلز، "شكوانا"، "نختلف عن (جوهان) موست [Johan] Most،" أسمائنا"، وضد مُحاولات شدنا" لدعم المواقف المُختلفة التي اختلفوا معها. كُلُ هذا مع الإشادة بدحض إنجلز، من وجهة نظرهم المُشتركة، للإصلاحيين "أنصار التنمية السلمية". كَتَبَ يقول، أظهر إنجلز مدى عُمق الهوة بين (Höchberg – PB) وبيننا "لنقول رأينا صراحة فيه."

هذه الرسالة ورسائل كثيرة أُخرى شبيهة بها تُشير إلى في حين أنهُ قد يكون من الحماقة مُعاملة ماركس وإنجلز بصيغة المُفرد، ومن السُخف أكثر بكثير الزعم، كما يفعل توماس Thomas، أنهُ "لا يوجد دليل على اي عقيدة مُشتركة خارج إصرار إنجلز على أنها كانت موجودة بطريقة أو بأُخرى." هذا ببساطة غير صحيح، وإن إنكار توماس للأدلة من ماركس حول عقيدة مُشتَرَكة مع إنجلز يُشيرُ إلى أن بحثهُ يُعاني من مشكلة يتوق إلى أن ينسبها للآخرين: "جهلٌ مُذهل بما كتبهُ ماركس".

وبطبيعة الحال، لم يكُن توماس جاهلاً بما كتبهُ ماركس. ولكن لماذا إذاً

الإستمرار في الإصرار على أطروحة الإختلاف في حين أن الأدلة الموجودة، كما يُشير هونلي Hunley، "يجب أن تُثبت لأي شخص لا تُعميه الأيديولوجيا تماماً أن ماركس وإنجلز يتفقان بشكل أساسي مع بعضهما البعض"؟ ويبدو أن مؤيدي فرضية الإختلاف مدفوعون بالأيديولوجيا أكثر من بالدليل. في الواقع، لا يُجادل كارفر وتوماس فقط (وبشكل مُبرَر) في إن إرث ماركس يجب أن يُفّصل عن ميراث الستالينية ولكن أيضاً (وبشكل غير مُبرر) ينبغي فصله بالمثل عن السياسة الثورية الحديثة. ويختلف موقف توم روكمور Tom Rockmore المُناهض لموقف أتباع إنجلز عن موقفي كُلٌ من كارفر وتوماس وذلك لأنهُ يوافق على أن "ماركس وإنجلز يتفقان سياسياً، "في حين أنهُ يَصرُ على أنهما "لايتفقا فلسفياً." تستفيد مُحاجة روكمور من الاعتراف، بما يتعارض مع إدعاء كارفر بأن ماركس تصوّر الإنتقال إلى الإشتراكية من خلال وسائل "دستورية" و "سلمية"، وأن إنجلز كان على حق عندما قال في تأبين ماركس أن مُساعدهُ كان "ثورياً فوق كل شيء". ومع ذلك، فإن روكمور مُخطئ بشأن الخلافات الفلسفية المُفترضة بين ماركس وإنجلز.

إن تقييم إنجلز الخاص لدورهِ في صياغة الأساس النظري لوجهة نظرهُما السياسية هو تقدير مشهور وإنكار للذات دون داع. وبعد مرور عام على وفاة ماركس، أدعى في رسالة كتبها إلى يوهانّ فيليب بيكر Johann Philipp Becker، في 15 آب/أغسطس 1884، أنها كانت مُجرد "آلة كمان ثانية" بمعنى "خدعة" لماركس:

ومن سوء حظي أنهُ مُنذُ أن فقدنا ماركس كان من المُفترض أن أُمثلهُ. لقد أمضيت عُمري أفعل ما كُنتُ مُهيأ لهُ، أي العزف على الكمان الثاني، وأنا أعتقد بالفعل أنني برأتُ نفسي بشكل معقول. وكُنتُ سعيداً لأن لدي كماناً رئعاً مثل ماركس. ولكن الآن بعد أن توقعت فجأةً أن آخذ مكان ماركس في المسائل النظرية وألعب دور الكمان الأول، ستكون هناك حتماً أخطاء فادحة ولن يدركها أحداً أكثر مني. ولن نُدرك حقاً ما فقدناه في ماركس إلى أن تُصبح الأزمنة أكثر إضطراباً إلى حد ما. لا أحد منا يمتلك اتساع الرؤية التي مكنتهُ، في نفس اللحظة التي دعت فيها إلى اتخاذ إجراء سريع، للتوصل إلى الحل الصحيح بشكل ثابت وفي الحال الوصول إلى لُبُ الموضوع. وفي الأوقات الأكثر سلاماً يمكن أن يحدث أن تثبت الأحداث صحة ما أقول وخطأ ما يقول، ولكن في مُنعطف ثوري كان حُكمهُ معصوماً عن الخطأ.

وبعد مُضي أربع سنوات في كتاب لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، أوضح هذا التقدير المُتواضع لمُساهمته المطبوعة:

تمت الإشارة مؤخراً إلى نصيبي في هذه النظرية، ولذا لا يُمكنني تجنُب قول بضع كلمات هُنا لتسوية هذه النقطة. لا أستطيع أن أنكر أنهُ قبل وأثناء تعاوني مع ماركس لمدة أربعين عاماً، كان لي نصيب مُستقل مُعيّن في إرساء أُسُس النظرية، وبشكل أكثر تحديداً في صياغتها. ولكن الجزء الأكبر من مبادئها الرئيسية الأساسية، خاصةً في مجال الإقتصاد والتاريخ، وفوق كل شيء، صيغتهما النهائية القوية، تخُصُ ماركس. ما ساهمتُ بهِ على أي حال، بإستثناء عملي في بعض المجالات الخاصة، كان من المُمكن أن يفعلهُ ماركس جيداً بدوني. إن ما أنجزهُ ماركس ما كان لي أن أحققهُ. لقد وقف ماركس في مكان أعلى، ورأى أبعد، وأخذ نظرة أوسع وأسرع منا جميعاً. كان ماركس عبقرياً؛ كُنا الآخرين موهُوبين في أحسن الأحوال. بدونهِ لن تكون النظرية على ما هي عليه اليوم. لذلك فهي تحمل إسمهِ بحق.

وبالطبع، سيكون من الحماقة إنكار الجزء الأكبر لماركس في تعاونهِ مع إنجلز. ولكن هذه الحقيقة ليست مُفاجئة بالنظر إلى أنهُ حتى في شبابهِ، شعر أحد مُعاصريه، موسى هيس Moses Hess، بأنهُ من الإنصاف وصف ماركس على النحو التالي:

إنهُ ظاهرة ... الأعظم ... ربما هو الفيلسوف الحقيقي الوحيد في الجيل الحالي. عندما يظهر للجمهور، سواء كتابةً إو في قاعة المُحاضرات، سوف يجذب انتباه كل ألمانيا ... سيُعطي دين القرون الوسطى وفلسفتها إنقلابهما، فهو يجمعُ بين الجدية الفلسفية العميقة والذكاء اللاذع. تخيّل روسو Rousseau و فولتير Voltaire و هولباخ Holbach و ليسينج Lessing و هاين Heine و هيجل إندمجوا في شخص واحد – أقول أندمجوا وليس جنباً إلى جنب – ويكون لديك الدكتور كارل ماركس.

إن القول بأن إنجلز (أو أي شخص آخر غير أرسطو في اليوم الأخير) فشل في مُطابقة المُستوى الفكري لشخص يمكن وصفه بشكل معقول بهذه المُصطلحات ليس بالأمر المُنير. ومن المُثير للإهتمام أكثر أن نُدرك، مع أندرسون Anderson، أن إنجلز كان يتمتع بنقاط قوة فكرية كبيرة وأنهُ قدم عدداً من المُساهمات المُهمة في منظوره النظري المُشترَك مع ماركس.

وبالفعل، كان ماركس أول من أدرك نقاط قوة إنجلز ونأى عنهُ التواضع الذي لا مُبرر لهُ. على سبيل المثال، في رسالة في 4 تموز/ يوليو، عام 1864، كَتَبَ: "كما تعلم. أولاً، أنا دائماً بعيداً عن الهدف في كل شيء، ثانياً، أنا حتماً أتبع خُطواتك." وهذا التأكيد كان صحيحاً بشكل خاص في أربعينيات القرن التاسع عشر عندما يلعب إنجلز دوراً مُهماً فحسب، بل لعب دوراً رائداً أيضاً في شراكتهما الفكرية والسياسية. وبعد ذلك، عمل الرجلان معاً بشكل وثيق في تعاون تعلم من خلاله كلٌ منهُما من الآخر وأصبح كلاهُما أكثر بكثير مما كانا عليه لو كان كلٌ منهُما يعملُ بمُفرده.

وعلى النقيض، تَميلُ إطروحة الاختلاف إلى إجراء الكثير من الأختلافات الطفيفة نسبياً بين الرجُلين، وفي أسوأ الأحوال، لإختراع الإختلافات حيثُ لا وجود لها لتُناسب التنبؤات الخاصة لكل ناقد. وتعليقاً على مُتغيّر ليفين Levine لهذه الحجة، يقول ألفين جولدنر Alvin Gouldner أنهُ "من سمات ليفين ... أن صياغاته ليست غير دقيقة فحسب، بل سخيفة". ويُضيف بأن الفكرة القائلة بأن إنجلز هو من بدأ إبتذال أفكار ماركس تستمر في التأثير "بسبب تبريرها الفكري أكثر من كونها بسبب الحاجة التي تخدمها": وتسمح أسطورة الإختلاف فعلياً لنُقاد الماركسية بإلقاء اللوم على إنجلز في أي جانب من جوانب الماركسية الكلاسيكية يُريدون رفضها. في الواقع، لقد أدت هذه المُقاربة إلى الميل إلى إعادة تصور إنجلز، كما قال إدوارد طومسون Edward Thompson، على أنهُ "كبش فداء" الذي كان مُثقلاً بأي عيب "يختاره المرء ليطعن في الماركسية اللاحقة". ومع ذلك، فإن الأدبيات المُناهضة لإنجلز سلبية إلى حد كبير في نطاقها وبعيدة عن الترابط. ولأن نُقاد إنجلز يلقون عليه عموماً أي جزء من الماركسية لا يحبونه، فإنهم يميلون، كما يُشير هونلي Hunley، إلى مُناقضة "بعضهم البعض وأحياناً مُناقضة حتى أنفسهم". والأهم من ذلك، فإن ما يُسميه آرثر Arthur أدب إنجلز الرهابي يميل إلى أن يكون حريصاً جداً على إدانة إنجلز لدرجة أن مؤلفوا هذا الإقناع يتجنبون المُشكلات المُهمة في حججهم الخاصة.

هذا النقد صحيح بشكل خاص فيما يتعلق بمحاولات مُنتقدي إنجلز إثبات درجة مُعيّنة من التماسك بين آرائه ونسخة ستالين المُنحطة عن الماركسية. فكارفر وتوماس، على سبيل المثال، يُشاركان ليفين في اعتقاده بأن أديولوجية ستالين يمكن اشتقاقها من «الإنجلانية» (نسبة إلى إنجلز). وكما كتب كارفر في عام 1981، "تتضمن الحياة السياسية والأكاديمية في المؤسسات الرسمية للإتحاد السوفيتي ... إلتزاماً إيجابياً بالمادية الديالكتيكية التاريخية المُستمدة من عمل إنجلز ولكنها تتطلب شهادة ماركس بعد وفاته. وبعد عامين، كَتَبَ يقول، بأن "عقائد" أعمال إنجلز الفلسفية "تم تمريرها إلى مُحاضرات، وكُتيبات تمهيدية، وكُتيبات، وصولاً إلى الديالكتيك السوفيتي الرسمي."إلا أنهُ، بالرغم من تكرار تفسير ستالين للمادية التاريخية الديالكتيكية (هيستمات Histmat و ديامات Diamat كما أصبحا معروفين في الإتحاد السوفيتي) مُشتق من عمل إنجلز، إلا أنهُ يُلاحَظ في كثير من الأحيان أن مُحاولة ستالين إضفاء الشرعية على نظامه المُعادي للثورة بالرجوع إلى الماركسية وثورة أكتوبر قادتهُ إلى تجرُع فكر ماركس وإنجلز في جوهره الثوري.

وفيما يتعلق بفكر إنجلز، رفض ستالين صراحةً عددٌ من الأفكار الرئيسية المُشتقة من عمله. لقد شطب نقد إنجلز من النظرية السوفيتية الرسمية لفكرة الإشتراكية في بلد واحد، ورأيه القائل بأن الإشتراكية ستتسم بتلاشي الدولة، وزعمهِ بأن قانون القيمة سيتوقف عن العمل في المجتمع الإشتراكي. وفيما يتعلق بالفلسفة، حذف ستالين مفهوم "نفي النفي" من حساب الديالكتيك الذي أصبح تقليدياً في روسيا في الثلاثينيات. لم تكُن هذه الأجزاء من فكر إنجلز جوانب غير جوهرية من ماركسيتهُ. وكما يُشير ألفرد إفانز Alfred Evans في زعم يجلس بشكل مُثير للسُخرية إلى جانب مُحاولات كارفر وآخرين لإنتزاع ماركس من الماركسية من أجل إعادة تخيّله كمُنظّر لتغيير دستوري سلمي، وعززت "إبتكارات" ستالين إعادة تفسير الماركسية التي تم من خلالها تقديم "أي آثار ثورية للتطور الإشتراكي".

** هذا المقال هو إقتباس من مُقدمة كتاب Paul Blackledge الأخير، فريدريك إنجلز والنظرية الإجتماعية والسياسية الحديثة.*

قراءة نقدية في كتاب (الجائحة) لسلافوي جيجك (٢-٢)

في تناولنا لكتاب سلافوي جيجك عن جائحة كورونا، عرضنا في الحلقة السابقة للفرضية الأولى التي تتصل بتوجه النظام الراسمالي العالمي نحو تقوية العوامل المناهضة لهبوط معدل الربح عبر قيادة طفرة في معدل التراكم. ونواصل في هذا العدد عرض الفرضيتين الثانية والثالثة.

هشام عقيل

الفرضية الثانية:

إن الأزمة الراهنة للطبقة البورجوازية تولد إنقساماً آيديولوجياً وسياسياً في الآيديولوجيا البورجوازية: جانب محافظ (حرية السوق، إلخ) وآخر نقدي-إصلاحي (تعظيم دور الدولة). وفقاً للحظة-الراهنة الحالية في أغلب البلدان الامبريالية وبعض البلدان الكولونيالية، يعمل الجانب الأخير في صالح ما ذكرته في الفرضية الأولى.

لقد لاحظ بولانتزاس، في إضافاته الرائعة للعلم الماركسي، بأن الدولاتية السلطوية تعظم من تدخل دور الدولة الاقتصادي كلما تعاظمت كوننة الرأسمالية، وفي ذلك ترافق نزعة تسيد الجهاز التنفيذي الإداري على التشريعي (ومن هنا يأتي المعنى الاصطلاحي للسلطوية). هذا المفكر لاحظ كل هذه الحقائق في فترة بسيطة جداً، وهي مرهونة بالحقبة الأولى لهذه المرحلة وهي حقبة إنتقالية، ولم يتسن له أن يشهد التحولات الهائلة التي حصلت بعد إنتحاره. إن المرحلة الحالية من الرأسمالية، كما أحددها، هي حقبة تسيد كوننة أو عولمة رأس المال، ومعها تتعاظم سلطوية الدولة الرأسمالية. أضيف بأن هذه السلطوية قد تأتي مع أيديولوجيا نيو-ليبرالية ولكن هذا لا يعني بأنها لا تترافق أحياناً مع آيديولوجيا كينزية هجينة لدولة الرفاه الاجتماعي؛ هذا كله مرهون بالصراع الطبقي. مرة اخرى، أحثكم على تقفي أثر بعض أطروحات جيجك وغيره من المفكرين اليساريين الذين أصبحوا يتحدثون باسم آيديولوجيا دولة الرفاه الاجتماعي.

مثلاً، تابعوا تصريحات شانتال موف مؤخراً بشأن عودة ما تسميه بالسياسي في عالم تجاوز السياسة، وهي تضع ثقتها المطلقة في الحركة الاجتماعية البيئية في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تتمثل بجماعة بيرني ساندرز وأليكساندريا كورتيز كالطرف الذي سيمثل الدال المهيمن النقيض للنيوليبرالية في الدولة الأمريكية. شخصياً، أرى بأن جهود جماعة أليكساندريا كورتيز التي تأتي تحت البرنامج التشريعي المسمى بالصفقة الجديدة الخضراء هي جهود يمكن اعتبارها - بتحفظ شديد- تقدمية، ولكنها لا تتعدى كونها نوس-تالجيا لإعادة تقديم دولة الرفاه (دون أن أعني بأنها غير واقعية، ولن يتم تبني نقاطها الأهم). إن شانتال موف تستهين بقدرة الآيديولوجيا البورجوازية على الامتصاص الآيديولوجي للخطاب المناهض لها؛ تستهين بقدرة البورجوازية على أن تتبنى خطاباً مناهضاً للبورجوازية. بالفعل، على الرغم من أن جو بايدن لا يتفق مع كل تفصيلات الصفقة الجديدة الخضراء، ولعله يرى بأن بعض نقاطها راديكالية جداً بالنسبة له، إلا أنه يعمل ضمن مثل الفلك؛ وهو قد كسب، سلفاً، ثقة ساندرز وكورتيز.

لا بد في هذه الحالة أن نقيس الأمور وفقاً لمجريات الصراع الطبقي نفسها. لاحظوا بأن التعافي التدريجي من بعد أزمة 2008، والنزعة الطبيعية للرأسمالية نحو مناهضة الميل نحو هبوط معدل الربح لم تتم بشكل قوي لا لأسباب اقتصادية محضة (إذا لم يكن بيننا طبعاً بعض مناصري هذا النزعة المشؤومة)، والوجود المحض لا يحضر إلا على المستوى النظري، بل لأسباب سياسية ايضاً ترتبط أساساً بمجريات الصراع الطبقي (اقتصادياً، وسياسياً، وآيديولوجياً) من حيث عدم قدرة البورجوازيات على تحييد الطبقات الشعبية، وبالتالي عدم قدرتها على زيادة حقيقية في معدل التراكم. إن عودة ثيمات النظرية الكينزية وآيديولوجيا دولة الرفاه الاجتماعي، على الرغم من اختلاطها ببعض الثيمات التي تحسب اشتراكية (لا اظن بكل بساطة بأن الكينزية بشكلها المحض ستعود، أو دولة الرفاه الاجتماعي كآيديولوجيا ستعود، بل للبورجوازية دائماً نزعة اصلاحية وهي كنزعة لها جذوراً نظرية وآيديولوجية مشتركة؛ كاوتسكي وبيرنشتاين أمثلة جيدة على ذلك) ستنصب في مصلحة تحقق طفرة في معدل التراكم، هذه الطفرة التي يبحث عنها النظام الرأسمالي، وبطريقة متوائمة مع تحييد الطبقات الشعبية.

أنا أتحدث بالتحديد هنا عن أزمة البورجوازيات بدلاً من أزمة الرأسمالية البنيوية بحد ذاتها، ومن دون أن أقع في ما نسميه - نحن البحرينيون - بالتفلسف الفارغ سأقول بأن الدولة البورجوازية الحديثة تؤبد أزمة البورجوازية كيلا تصلها الأزمة الاقتصادية الرأسمالية. (عليكم أن تمعنوا في الحقيقة التي لم يمل ماركس

الطفرة القادمة للإنتاج الرأسمالي في بعض الأبنية الاجتماعية الرأسمالية تعتمد كلياً على الإنتصار الإيديولوجي والسياسي للأشكال النقدية والإصلاحية للرأسمالية

- سلطوية الدولة الرأسمالية الحديثة تضع البورجوازية في أزمة مكشوفة، وهذا، بحد ذاته، يشكل العامل المؤبد للنظام الرأسمالي
- التعافي التدريجي بعد أزمة ٢٠٠٨، ونزعة الرأسمالية لمناهضة هبوط معدل الربح لم تتم بشكل قوي ليس لأسباب اقتصادية محضة، بل لأسباب سياسية ايضاً ترتبط بمجريات الصراع الطبقي

من ذكرها: الإنفصال النسبي للدولة عن الاقتصاد). إن سلطوية الدولة الرأسمالية الحديثة تضع البورجوازية في أزمة مكشوفة بشكل دائم، ولكن ذلك بحد ذاته يشكل العامل المؤبد للنظام الرأسمالي نفسه. كل شيء يعتمد على فهمنا لهذه الحقيقة: التناقضات الداخلية للطبقة البورجوازية، وهي تناقضات شاملة اقتصادياً، وسياسياً، وآيديولوجياً. لما كان التوسع الاقتصادي للدولة هو الذي يفعل هذه المواجهة المباشرة ما بين الطبقات الشعبية والبورجوازية (ايّ، اتخاذ رأس المال الاحتكاري قطاعات معينة تحسب تاريخياً من ضمن المكتسبات الشعبية كمواقع اقتصادية استراتيجية)، فإن البورجوازيات أصبحت دائماً معرضة لهذا الصراع الطبقي المكشوف؛ ولكن لأنها معرضة لهذا الصراع الطبقي، ولأنها مهددة بأن تكون مأزومة دائماً، فإنها في مثل الوقت تعظم من تناقضاتها الداخلية ما بين أقسامها وأشكالها الآيديولوجية المختلفة. ما أعنيه هنا بكل بساطة بأن الدعوات الإصلاحية، أو ما تسميه شانتال موف بالإصلاحية الثورية أو الراديكالية، لا تشكل صوتاً مختلفاً عن البورجوازية نفسها، ايّ – وبكلمات أكثر وضوحاً – إن بعض أقسام البورجوازية لن تمانع نقد النظام الرأسمالي، ولن تمانع أن تمتص ببعض الثيمات التي تحسب اشتراكية عند البعض.

إذن، الأشكال الصريحة للآيديولوجيا النيو– ليبرالية والأشكال الصريحة لإصلاح ونقد الرأسمالية تشكلان المواقع الأيديولوجية الحالية التي تعمل عليها طبقة البورجوازية ككل اليوم. إن الطفرة القادمة للإنتاج الرأسمالي في بعض الأبنية الاجتماعية الرأسمالية تعتمد كلياً على الإنتصار الآيديولوجي والسياسي للأشكال النقدية والإصلاحية للرأسمالية؛ ايّ أنها تعتمد كلياً على الإنتصار السياسي والأيديولوجي للبورجوازية؛ مهما أحبّ أتباع كوندراتيف اقناعنا بأن الطفرات تعتمد على الموجات الاقتصادية لتطور الرأسمالية.

لستُ أدعي بأن جيجك جاهل بالوهم الذي تولده الآيديولوجيا النيو – ليبرالية بأنه لم يعد للدولة أي دور فعال، إذ إنه كفيلسوف جاد رأى ذلك بوضوح وكان من القلة الذين أكدّوا على هذه الحقيقة. على العكس، سأقول بإنه – بشكل مفارق تماماً – لأنه حاول تفادي الوقوع في هذا الوهم وقع فيه. «إن ما يجعل الفلاسفة فلاسفة هو أنهم دائماً يقعون على وجوههم»، هذه الملاحظة لا تقدر بثمن لآلتوسير. أضيف إلى ما قاله آلتوسير بأنهم يقعون على وجوههم من دون أن يدركوا ذلك؛ بأن الزلة أو التعثر ما هي سوى لحظة ضرورية في صيرورة الفلسفة (راجع فينومينولوجيا الروح لهيغل الذي لم يسمح لأي خطأ أن يسمى خطأ في تاريخ الفكرة الشاملة كلها). هكذا جيجك، بوصفه فيلسوفاً حقيقياً، ومؤمناً تماماً بنفي النفي يمارس هذا النفي نفي بشكل جيد، يرى بأن الدولة قوية سلفاً ولكن قوتها خاضعة لآلية السوق (ايّ استقوائها يخدم قوة السوق)، وما يطرحه هو خضوع السوق لقوة الدولة، ايّ هبوط الأخيرة إلى الأولى والأولى إلى الأخيرة: منطق هيغل يشع سروراً هنا! لكن من هنا تحديداً نرى التعثر، إذ إن هذا الرأي يفترض بأن للدولة الرأسمالية جهازاً محايداً وجهازاً خاضعاً للمصالح المباشرة لرأس المال الاحتكاري.

إذا كان الكتاب في متناولكم الآن افتحوا، وأنا أشير بالتحديد إلى النسخة الانكليزية، الصفحة 10 أو 102 أو 103، ستجدون الفيلسوف يقول: "نحن بحاجة إلى دولة قوية في أوقات تفشي الجوائح..."، أو: «علينا أن نتبع ما قاله كانط الذي كتب عن قوانين الدولة التالي: "اطع ولكن فكر، لا تتخلى عن حرية التفكير"، أو مثلاً بشكل أكثر وضوحاً: «من هنا تأتي رؤيتي لما أسميه بالشيوعية، لا كحلم مبهم ولكن ببساطة لتسمية واقع الأمور بمسماها ... بالإضافة إلى حاجتنا إلى تقوية وتفعيل دور الدولة سنحتاج إلى تنظيم إنتاج الحاجيات الضرورية مثل الأقنعة، وأجهزة التنفس، وعزل الفنادق والمنتجعات، ضمان الحد الأدنى للبقاء عند العاطلين، إلخ.. بعيداً عن آليات السوق».

الآن لست واثقاً تماماً بأن أي مشاهد منكم سيستطيع الولوج إلى الفصل الأخير من (النظرية العامة للعمل، والفائدة، والمال) لكينز، ولكنه في كل الأحوال سيجده يقول: «إذن، ستبدو الدعوة إلى تعظيم وظائف الدولة كشيء مرعب يهدد مبدأ الفردانية بالنسبة إلى صحفيي القرن التاسع عشر أو لأي مصرفي أمريكي معاصر. لكنني على العكس أدافع عن هذه الفكرة... يبدو بأن الأنظمة الديكتاتورية قادرة على حل مشكلة التعطل بشكل أكثر كفاءة ولكن على حساب الحرية... إنه من الممكن، وفقاً للتحليل السليم، التوصل إلى علاج مرض التعطل وفي مثل الوقت الحفاظ على مبادئ الحرية.».

أذكركم بأن كينز كان يتفاخر بأنه يمثل نوعاً من الفكر الاشتراكي، رغم أنه في الحقيقة لم يمثل سوى الاشتراكية البورجوازية، والكينزية ليست سوى

مذهب من المذاهب العديدة للاشتراكية البورجوازية، مثلما يتفاخر جيجك بأنه شيوعي دون أن يكون شيوعياً. تتشارك الاشتراكية البورجوازية والاشتراكية البورجوازية الصغيرة المظاهر التالية: من الجانب السياسي تأليه الدور التدخلي للدولة (يدعو جيجك إلى التأهب العسكري للدولة في حال تفشي الجوائح، وبأن عليها أن تكتسب سلطة عليا في أوقات كهذه لإحتواء الأزمات)، ومن الجانب الاقتصادي يقوم التحليل كله على مبدأ «شح الإستهلاك» فترتبط الوفرة بمناهضته عبر الدولة، ايّ احتواء الفوضى الإنتاجية التي يتميز بها النظام الرأسمالي دون غيره عبر الدولة نفسها (نقد كينز لريكاردو مثال على ذلك). يذكرني ذلك كثيراً بما قاله لينين يوماً عن هذا الشكل من الاشتراكية: (إنها تسلم الدولة مهمة محاربة الرأسمالية المتوحشة، ايّ أنها كمن حاول أن يقتل السمكة المتوحشة عبر اغراقها في النهر).

هكذا، كل ما تقوله فرضيات جيجك، وهي تلتف عبر عبارات هيغلية –لاكانية هنا وهناك، هو: "علينا اغراق السمكة المتوحشة في النهر!". لكن لأن فرضياته لا تقوم على أسس ساذجة، وهو واع بما يقوم به، فإنه يقع في التصور البورجوازي – ولا استغرب من ذلك، إذ إن هذا التصور أشاعه هيغل في القرن التاسع عشر – بأن المجتمع البورجوازي ينقسم إلى مجتمع سياسي (الدولة البورجوازية) ومجتمع مدني، وفي هذا الإنقسام تمثل الدولة المصالح العامة للناس: الصحة، والخدمات الاجتماعية، والتعليم، والبنية التحتية، البريد، إلخ. إذن، المعادلة تكمن ما بين مدى كون الدولة ممثلة للمصلحة العامة وإلى مدى كونها ممثلة لمصلحة البورجوازية، ايّ أننا – حسب هذه الفكرة، سواء أكان بوعي الفيلسوف أو من دون وعيه – أمام أجهزة محايدة طبقياً في الدولة (ايّ، أجهزة تحقق المصلحة العامة، أو توفر الظروف العامة للإنتاج والاستهلاك بشكل مجرد من طابع طبقي — هكذا يسيء بعض الماركسيين فهم فرضيات انغلز) وأجهزة تحقق المصالح الطبقية المباشرة لرأس المال الاحتكاري؛ كل شيء يعتمد على احتواء الثانية عبر الأولى (هذه الفرضية البسيطة نجدها عند تشومسكي، وشانتال موف ولاكلو، والأوروشيوعية، وسلافوي جيجك بطرق مختلفة).

في حقيقة الأمر، إن القطاعات التي غرضها تحقيق المصلحة العامة هذه هي كلها مبنية ضمن الدولة الرأسمالية، ايّ أنها تعمل مباشرة ضمن مصلحة الطبقة البورجوازية. من الواضح أنني لا أعني بذلك بأنها ليست مكتسبات شعبية ناتجة عن صراع مرير قادته الطبقات الشعبية، ولكن حالما تدخل ضمن بنية الدولة الرأسمالية فأنها تبني على أسس المصالح المباشرة للطبقة البورجوازية: أنها لا تحقق المصلحة الاجتماعية لكل الطبقات، بل غرضها تحقيق المصلحة العامة للطبقة البورجوازية. كما أنه من الواضح بأنني أعي بأن شكل هذه القطاعات تختلف من مرحلة إلى اخرى، ومن دولة إلى اخرى (في الدولة الليبرالية كانت توفر الظروف العامة لإعادة الإنتاج الرأسمالية، أما في المرحلة الحالية فإنها تشكل مناطق حقيقية لإعادة إنتاج الرأسمالية نفسها فيها)؛ خذوا مثلاً القطاع الصحي. سأتصور، من دون أن اتهم أي أحد بالسذاجة السياسية، بأن أغلبنا سيرى بأنه القطاع الوحيد الذي لا يمكن أن يعتبر ضمن ما قلته للتو. لكن في حقيقة الأمر، يشكل القطاع الصحي قطاعاً عضوياً ضمن الأجهزة القمعية للدولة الرأسمالية.

توفر الجائحة لنا أفضل الأدلة على ذلك: أتصور بأن أغلب المرتابين، وأنا بلا شك واحد منهم، في بداية الجائحة ركزوا على انتشار وسائل المراقبة الأمنية المباشرة التي تهدف احتواء الناس وتجمعاتهم، ولكن أليس مثيراً للاهتمام بأن هذه الوسائل لم تأتِ بشكل أمني مباشر؟ أليس مثيراً للاهتمام بأن هذه الوسائل خضعت للقطاع الصحي بدلاً من كونها اجراءات أمنية اعتيادية؟ أنا لا أعني هنا أجهزة التتبع وحسب، بل الأشكال الحقيقية للمراقبة الأمنية – البايولوجية (لعل الفوكويين المعاصرين سيكتبون أموراً مثيرة للاهتمام في هذا الشأن): لا أدري إن كنتم تتابعون نشاطات مركز واتسون الصحي التابع لشركة آي بي إم (IBM)، فإن تقدم التكنولوجيا الصحية تتوافق مع ما تقدمت به للتو. إنهم الآن يطرحون جدياً (لتفادي أي جائحة قادمة) تركيز استحصال المعلومات البايولوجية الصحية من الناس (مثلاً، عبر الأجهزة الذكية)، وتحليلها (عبر أجهزة الذكاء الاصطناعي القادرة على التنبؤ)، وضبطها، وتخزينها ومشاركتها مع الجهات المعنية لاحتواء أي أزمة ممكنة. هنا تجدون كيف تعيد الرأسمالية إنتاج نفسها في القطاعات الصحية وفي مثل الوقت تتعاظم سلطوية الدولة الرأسمالية.

أنا مرغم على إعادة صياغة الفرضية الثانية لكم: تنزع الرأسمالية الآن (خصوصاً بعد جائحة كورونا) إلى تعظيم من تركز سلطوية الأجهزة التنفيذية، إذ إن الطفرة الرأسمالية المؤملة تعتمد على ذلك بقدر اعتمادها على تحييد الطبقات الشعبية عبر تغليفات آيديولوجية اشتراكية لإصلاح رأسمالي للرأسمالية (قال ماركس في البيان الشيوعي بإن الاشتراكية البورجوازية تعني شيئاً واحداً: "بقاء البورجوازية كبورجوازية لخدمة الطبقة العاملة"). إن نجاح هذين العنصرين حتماً سيقود الإنتاج الرأسمالي إلى طفرة في معدل التراكم.

لهذا السبب بالتحديد لم أفصل التوجه الحالي لبعض الذين يطلقون على أنفسهم يساريين اليوم من التوجه الذي نجده عند بعض أقسام البورجوازية؛ مهما أحبّوا التخلص من السمكة المتوحشة. إن جيجك في لحظات التجلي في كتابه يعيد صياغة ما قاله هيغل في (فلسفة الحق) بإن "الفلسفة ليس من واجبها أن تقول كيف على العالم أن يكون، بل تفصح عما هو العالم عليه". اسم هذا الإفصاح بالنسبة إلى جيجك هو الشيوعية. إنه يرى نشاطات الدولة (التأميمات، التنظيم والإنضباط العسكري، إلخ)، ولم يخيل له ابداً بأن هذه النشاطات تدخل ضمن الميكنزمات الطبيعية للدولة الرأسمالية، فيشخص كهيغلي–جيد ما العالم هو عليه (لكن باسلوب مكارثي): "إن الرأسمالية قد غدت شيوعية!" (مفارقة ديالكتيكية اخرى). إنه يتخيل، مثل كاوتسكي، بأن يمكن للنظام الرأسمالي العالمي، بأنه يمكن للامبريالية العالمية، أن تتعايش سلمياً (هذا ما يسميه بالشيوعية ايضاً) عبر التنسيق والإنضباط الأممي لتفادي كل الأزمات. أهناك أي داعٍ لأفند هذه اليوطوبيا؟ أهناك أي شيء سأقوله بهذا الشأن لم يقله لينين قبلي؟

الفرضية الثالثة

اليوم، وصلت الامبريالية إلى أعلى درجات الطفيلية، وفي ذلك أنها تهدد الوجود البايولوجي للبشر (أسلحة الدمار، عدم القدرة على الحفاظ على السلام، تدمير كوكب الأرض، إلخ)؛ مهما بلغت درجة إصلاحنا لها. ليس ثمة أي داعٍ لاستمرار بقاء الامبريالية على وجه الأرض.

قال أرسطو قديماً بأن الجندي المذعور يفقد كل حواسه، وتخرج روحه عن جسده، فلا منطق ولا مبدأ يبقى لديه: هكذا تدفع المادية الديالكتيكية، وهي فلسفة الرعب كما لاحظ آلتوسير قديماً، ولأن جيجك يبشرنا بالشيوعية على مستوى الدولة، وينسى تماماً أن ينظر إلى الطبقات الشعبية (التي لا يثق بها)؛ حقاً أن النزعة الواقعية التي يبشرنا بها موجودة سلفاً، إنها حاضرة، ولكن ليس على مستوى الدولة الرأسمالية القائمة بل عند الجماهير نفسها في صراعها الطبقي اليومي، إذ إنها تخلق وتبتكر عالماً جديداً في كل خطوة في صراعاتها اليومية. واجبنا لا يقع في التأمل في الدولة، بل نكون مركزاً للقاء وتجميع كل الحركات التي لها مصلحة ثورية في مناهضة النظام الرأسمالي؛ وإن كانت الفلسفة تريد أن تكون سلاحاً ثورياً، ايّ بالضبط لا– فلسفة، عليها أن تكف عن التأمل وتبين للجماهير ما قاله ماو تسه تونغ قديماً: «من حقنا أن نتمرد!». تعلمنا الجماهير، تعلمنا الطبقة العاملة، بأن القضية ليست قضية تحولات الدولة، بل قضية الاشتراكية: الاشتراكية هي استبدال قانون القيمة بقانون التوجيه الاجتماعي للإنتاج؛ نزع ملكية الوسائل الإنتاجية من يد البورجوازية لتكون في يد الطبقة العاملة. إن هذا الهيغلي ينتظر التغيير من فوق، ولكننا نقول له: حذاري وإلا سقطت مثل طاليس في البئر! فإن التغيير قادم من تحت.

الآن، لا طائل من محاولة اقناع الفيلسوف بذلك إذ سيكون علينا أن ننتظر أن تعود روحه إلى جسده المذعور. هناك وقت كاف، ففي مقالته حول الذعر ذكر مونتين قصة الحارس الذي، إبان غزو شارل الثالث لروما، سيطر عليه الذعر تماماً لدرجة أنه توجه هروباً نحو جيش العدو بدلاً من الإنسحاب للاحتماء في الأماكن المحصنة في المدينة؛ حين عاد إلى شعوره وأدرك خطأه، حاول أن يصحح نفسه عبر الهروب مرة اخرى إلى المدينة بسرعة كبيرة لدرجة لم يتسن لجيش العدو أن يدرك بأن جندي هارب قد حط في مواقعهم.

لم يذكر مونتين ما إذا عاد الحارس سالماً أم لا، ولا أدري ما إذا كان سيعود إلينا جيجك... ربما لمَ لا؟

الفقـر يتصـاعـد والـثراء يـزداد

جوليا كونلي *

زيادة ثروة الملياردير تضرب عصباً مؤلماً لملايين الأشخاص الذين فقدوا أحباءهم وعانوا تدهور صحتهم وثرواتهم ومعيشتهم. ويُظهر تقرير «بلومبيرج» في نهاية عام 2020 المتعلق بثروة المليارديرات في العالم، أن أغنى 500 شخص على هذا الكوكب أضافوا 1.8 تريليون دولار إلى ثرواتهم المجمعة في عام 2020، ليتراكم صافي ثرواتهم الإجمالية ب7.6 تريليون دولار.

وسجل مؤشر «بلومبيرج» للمليارديرات أكبر مكسب سنوي له في تاريخ القائمة العام الماضي، مع زيادة بنسبة 31٪ في ثروة أغنى الأشخاص.

وجاء الاكتناز التاريخي للثروة في الوقت الذي واجه فيه العالم جائحة كورونا، والأزمة الاقتصادية المقابلة له، والتي حذرت الأمم المتحدة الشهر الماضي من أنها «نقطة تحول»، ومن المقرر أن تدفع بأكثر من 207 ملايين شخص إضافي إلى الفقر المدقع في العقد المقبل، مما سيزيد عدد الأشخاص الذين يعيشون في فقر مدقع إلى مليار شخص بحلول عام 2030.

وحتى في أغنى دولة في العالم، وهي الولايات المتحدة، زادت الفجوة الآخذة في الاتساع بسرعة بين أغنى وأفقر الناس بشكل صارخ في عام 2020.

وكتب دان برايس، رجل الأعمال المدافع عن الأجور العادلة، على تويتر: «جمع أغنى 500 شخص في العالم، ثروة في عام 2020 تعادل ما جمعه أفقر 165 مليون أمريكي في حياتهم كلها».

ويعيش تسعة من أغنى 10 أشخاص في العالم في الولايات المتحدة، ويمتلكون أكثر من 1.5 تريليون دولار. وفي الوقت نفسه، ومع وجود أكثر من نصف البالغين في الولايات المتحدة الذين يعيشون في شكل أسر، فقد هؤلاء دخلهم بسبب الوباء، حيث أفاد ما يقرب من 26 مليون أمريكي بعدم وجود ما يكفي من الطعام ومواد محلات البقالة الأخرى في نوفمبر الماضي، مما أسهم في زيادة سرقة السلع الأساسية من المتاجر، بما في ذلك الحفاظات وحليب الأطفال.

وشهد إيلون ماسك، الرئيس التنفيذي لشركة «تسلا»، نمواً تاريخياً في الثروة العام الماضي، حيث أصبح ثاني أغنى شخص في العالم ودفع مؤسس شركة «ميكروسوفت» بيل جيتس، إلى المركز الثالث. ونما إجمالي صافي ثروة ماسك بمقدار 142 مليار دولار في عام 2020، لتصل إلى 170 مليار دولار، وهو أسرع تكوين للثروة الشخصية في التاريخ، وفقاً لبلومبيرج.

ويتصدر مؤسس أمازون جيف بيزوس القائمة، بثروة صافية قدرها 190 مليار دولار. وقد أضاف بيزوس أكثر من 75 مليار دولار إلى ثروته في عام 2020، حيث أصبح الجمهور يعتمد على التسوق عبر الإنترنت بسبب قيود «كوفيد 19» والاهتمام بالصحة العامة.

وقال تشاك كولينز، مدير برنامج اللامساواة والصالح العام في معهد دراسات السياسات: «إن زيادة ثروة المليارديرات تضرب عصباً مؤلماً لملايين الأشخاص الذين فقدوا أحباءهم وعانوا تدهور صحتهم وثروتهم وسبل عيشهم». والأسوأ من ذلك، أنه يقوض أي شعور بأننا «في هذا معاً»، وهو التضامن المطلوب للتغلب على الأشهر الصعبة القادمة.

* كاتبة ومحللة سياسية في موقع «كومون دريمزإن»

لا لقاح للفقراء

د. حسن مدن

ليس مفاجئاً التحذير الذي أطلقته منظمة الصحة العالمية من عدم تكافؤ توزيع اللقاحات المضادة لوباء «كوفيد 19» متحدثة عما أسمته بـ «فشل أخلاقي كارثي».

منذ أن أعلن في أكثر من دولة في العالم عن نجاح شركاتها المختصة في انتاج هذه اللقاحات التي انكبّت عليه منذ انتشار الجائحة، طرح السؤال حول الآليات التي ستحكم توزيعها على النطاق العالمي، فضلاً عن سؤال آخر مهم حول قدرة هذه الشركات على تلبية الطلب الهائل على اللقاحات في مختلف الدول، حيث تجاوز عدد الوفيات في العالم بسبب الوباء مليوني وفاة، وأضعاف هذا العدد مرات من المصابين به، ددون أن يلوح أفق قريب للسيطرة عليه، أو على الأقل الحدّ منه.

بالنسبة للسؤال الأخير بالذات لوحظ تباطؤ الشركة الأشهر في انتاج اللقاح، شركة فايزر – بيونتيك في تزويد الدول التي تعاقدت معها على شراء كميات معتبرة منه، معزية هذا التباطؤ إلى «خلل» عابر في مصانعها، وواعدة بقرب التغلب عليه، فيما يؤثر التنافس السياسي بين الدول سلباً على فرص الاستفادة من لقاحات أخرى، كتلك المنتجة في الصين وروسيا، حيث «تترفع» دول غربية عن استيرادها تحت مزاعم هاوية، دون أن تفلح في حجب الطبيعة الاقتصادية – السياسية لهذا الموقف.

رئيس منظمة العالمية قال إنه «ليس من العدالة أن يحصل الشباب الأصحاء في الدول الغنية على اللقاحات قبل أولئك الأكثر عرضة للخطر في الدول الفقيرة»، واصفاً المبدأ الذي يقوم عليه هذا النهج، مبدأ «أنا أولاً» بالمدمر، لأنه سيشجع على ارتفاع أسعار اللقاحات وتكديسها.

وكان على الرجل أن يقول ما لم يقله صراحة حول أن منطق المال والربح هو الحاكم في الموضوع، فالشركات المنتجة غير معنية بمن يصاب أو يموت بسبب الوباء، بقدر ما هي معنية بمن هو مستعد لأن يدفع أكثر وأسرع، دون آبهة بما حذرت منه المنظمة المذكورة من أن ثمن هذا النهج «سيُدفع بالأرواح وسبل العيش في الدول الأفقر في العالم».

عبرت منظمة الصحة العالمية عن أمنيتها بأن ينجح العالم في تحدي ضمان بدء توزيع لقاحات كوفيد- 19 في كل دولة بحلول اليوم العالمي للصحة، في السابع من إبريل/ نيسان، ولكن المعطيات المتاحة تظهر أنه دون هذه المهمة النبيلة عقبات كبيرة، يجعل من تحققها أمراً مشكوكاً فيه.

يمكن اعتبار هذا التحدي معياراً لإظهار إلى أي مدى استخلص العالم أقسى درس من الجائحة الفتاكة، وما من أدلة كافية على أن هذا حدث أو سيحدث.

الوصمةُ البشريّة ووصمة عار أمريكا

تقول عنه مترجمة الرواية بأنه "كاتب داهية وروايته هذه رواية داهية". توصيف حقيقي أصاب كبد الحقيقة، فكاتب مثل فليب روث لايمكن أن لا يكون غير ذلك، فمقدار المعلومات المسربة إليك تبقيك حبيس المكان لتواصل مشوار لذة التشويق لمعرفة المزيد عن حال شخوص الرواية وما آلوا إليه.

رواية تقع في أربعمائة وواحد وستين صفحة صادرة عن دار المدى في العام 2012، تُرجمت باقتدار من قبل فاطمة ناعوت الكاتبة والصحفية والشاعرة والمهندسة المعمارية أيضاً.

الكاتب يضع يديه على الجروح، جروح بلده الولايات المتحدة: التمييز العنصري والأفكار الناتجة عن هذا التمييز وفعلها على الفرد والمجتمع والفوارق الطبقية وما تؤدي اليه من فجوة شاسعة بين الأغنياء والفقراء وحال الرؤساء ومغامراتهم ونزواتهم الجنسية وغزواتهم للشعوب الأخرى في فيتنام والعراق وأفغانستان وما تخلفه تلك الحروب على الجنود من أمراض وندوب نفسية يعيشونها بعد عودتهم للولايات المتحدة كأمراض مستعصية مثل مرض اضطرابات إجهاد ما بعد الصدمة (PTSD) .

وهنا يقول الكاتب في معرض الحوار الدائر في الرواية (آلاف وآلاف من الرجال يستيقظون في منتصف الليل عائدين إلى فيتنام. آلاف وآلاف من الرجال هاتفهم الناس ولا يردون على الهواتف. آلاف وآلاف من الرجال تباغتهم تلك الأحلام المخيفة بحق). رواية تتبع كل تلك الأحداث بأسلوب راقي وجميل، لا يخلو من التهكم اللذيذ، أسلوب نعتته المترجمة بالفريد في انتقاء الجمل والكلمات التي لايمكن ترجمتها إلى العربية الا وأن يختل المعنى .

ومع كل ذلك فالتاريخ السياسي والاجتماعي الأمريكي حاضر في ذهن الكاتب يلوح به في وجه السياسيين عند مناقشته لكل ما يحدث في بلده، فيدخل إلى البيت الأبيض لمعرفة خبايا الرؤساء ويدخل إلى بيوتهم متلصصاً على فضائحهم، وهذا ما فعله مع نيكسون في فضيحة (واترجيت)، ومع كلينتون في فضيحة مونيكا لوينسكي، المتدربة السابقة في البيت الأبيض في منتصف التسعينيات من القرن الماضي والتي سماها الصحافي النقابي المحافظ وليام باكلي في معرض تقييمه لهذه الحالة عدم المقدرة على التحكم في الشهوة الجنسية.

تقول عنه المترجمة بأن فليب روث (يلعب مع القارئ لعبة سيكولوجية مثيرة، لعبة الكرّ والفرّ في التأثير النفسي على القارئ من خلال بناء شخوص الرواية)، ومع كل ذلك تبقى هذه اللعب جميلة ومشوقة إذا ما أجاد القارئ هضمها وفهم معناها ودوافع الكاتب واسلوبه وما يرمي إليه، فكاتب بهذه القامة، وهو الذى حصد العديد من الجوائز لابد وأن يكون له أسلوبه الخاص في الكتابة ومنهجه في تحصيل الوقائع وسردها كأحداث وقعت بالفعل مُضاف اليها قليل من الفنتازيا المشوقة.

تبدو للقارئ هذه الرواية عند قراءتها لأكثر من مرة بأنها رواية غير إعتيادية من حيث طريقة السرد والمضمون الذي

حميد الملا

قد يلتبس على البعض، فالأحداث تأخذك لعام 1998 حين يبدأ الكاتب في حبك خيوط روايته عبر كلمة قالها بروفيسور كولمن سيلك (spooks) فُهمت خطأً واتهُم بالعنصرية في تعامله مع طلابه مما أوقعه فيما يشبه الشعوربالغبن والضغينة بعد هذا الاتهام غير العادل، مما اضطره لترك التدريس في تلك الجامعة فجئ به إلى الحضيض بعد أن كان ممتلئاً بالحيوية فظل يصارع عارالإخفاق لفترة طويلة من الزمن وانعكس كل ذلك على حياته وبقى مثقل بالضجر الذاتي لكونه غارقاً عارياً في بحر من المرارة كما يقول الكاتب.

كلمة (spooks) مصطلح مُسيّئ يوجه أحياناً للسود قالها دونما مقصد من حيث إنه ملون إيضاً وبالتالي إلباسه التهمة فيه إجحاف وفرية مقصودة، وتلك الكلمة كلفته منصب عميد جامعة وبروفيسور مرموق.

ينطلق الكاتب لفضاء المجتمع الأمريكي ليفضح المؤسسة القائمة برمتها من خلال تشريح طرائق التعامل مع الملونين وهنا نستذكر ما يحدث الان في أمريكا في ظل رئاسة ترامب من أحداث عنصرية كمقتل المواطن الأسود جورج فلويد وغيره من المواطنين السود بعد أن أجج الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سعير العنصرية بتصرفاته الممجوجة.

من يقرأ الرواية لابد وأن يرتسم في ذهنه ما يحدث الآن للمجتمع الأميركي وصور الصراعات المحتدمة بين مكوناته التي أخذت تطفو على السطح حول مختلف القضايا، بما فيها أسلوب العيش في مجتمع متعدد الأعراق والقوميات والاجناس والشعوب، فالعنصرية المتأصلة في المجتمع الأمريكي حولت كل شيء إلى دمار اجتماعي ونفسي، واختتم فصلها بتمرد ترامب وانصاره على طريقة الاتنخابات واعتبارها مزورة ومن ثمّ الايعاز لهم بالعنف واقتحام مبنى ال"كابيتول".

وعوداً على الرواية أراد كولمن النية كما يقول (أن يجعل أمرعرقه سّره الخاص، فإن الثمن الذي كان عليه أن يدفعه هو ألا ينجب أطفالاً) كونه هو أحد الملونين، وهنا يخبرنا الكاتب بما يحصل للملونين ويعطينا مثالاً بالدكتور تشارلز درو وهو الذي أكتشف كيف يُمكن أن يُمنع الدم من التخثر ومن ثم أمكن تخزينه في بنوك ليقول بأن ذاك الطبيب جُرح في حادث سيارة، والمستشفى الأقرب لم تكن تقبل مرضى ملونين، فمات بعد ما ظل ينزف حتى الموت.

فأي مصير ساخر لاقاه ذلك الطبيب! وهذا المصير يشي بأن المجتمع بفعل الصراعات بعيد عن الإنسانية، فلون البشرة له مفعول سلبي على صاحبه، وبالتالي العزلة للسود وذوي البشرة الملونة في كانتونات هو ما أنتجته الرأسمالية لهذه الشعوب التي فُرض عليها هذه المعيشة المذلة ناهيك عن التمييز في المدارس والمواصلات وغيرها من المرافق العامة.

صاغ الكاتب من اللون والعنصرية والتفاوت الطبقي والعرقي موضوعاً جميلاً، تعرف القارئ من خلاله على كل جوانب العنصرية وفلسفتها التي ما برح المجتمع الأمريكي يعيشها ويتجرع مراراتها، ففي فوضى الانتخابات الأخيرة يتضح مقدار الهوة بين الأمريكيين واهتماماتهم واختلافاتهم في الأمور المصيرية مما يجعل من أكبر قوة في العالم في مهب ريح التغييرات العاتية سواء أكان إيجابية أم سلبية.

سياسة الأرض المحروقة التي يمارسها الرئيس الأمريكي المنتهية ولايته دونالد ترامب توضح وبجلاء مقدار الانقسام في المجتمع الأمريكي وتمزق النسيج الاجتماعي والهوة الفاصلة بين الملونين الذين صوتوا لجو بايدن الرئيس المنتخب على حساب ترامب، فلا يعوز المراقبين لتلك الانتخابات الإلهام لمعرفة ما فعله دونالد ترامب بهم ليصوتوا ضده إنتقاماً من سياسته العنصرية المنحازة للبيض.

يعود الكاتب في رواية أخرى له (تزوجت شيوعياً) الصادرة عن دار المدى في العام 2019 ليصب جام غضبه على الطريقة التي يدير بها الحزبان الجمهوري والديمقراطي شؤون البلاد فيما يتعلق بملاحقة النقابيين والمعارضين لسياسة كلا الحزبين الذين يحاربون الظلم والاستبداد وضد اضطهاد العمال، ليقول (لقد كان الحزبان السياسيان الكبيران متساويين في افتقارهما إلى الضمير عندما يتعلق الامر بحقوق الزنوج، ومتساويين في لا مبالاتهما بالممارسات الجائرة التي ورثها النظام الرأسمالي، وفي إغماض عيونهما أمام العواقب الكارثية التي ستنزل بالجنس البشري الناجمة عن استفزاز بلدنا المُتعمد للشعب الروسي المُحب للسلام إنهم يدعمون أنظمة الحكم الرجعية في العالم، ويسلحون أوروبا الغربية ضد روسيا، ويُعسكرون أميريكا).

الفريد سمعان

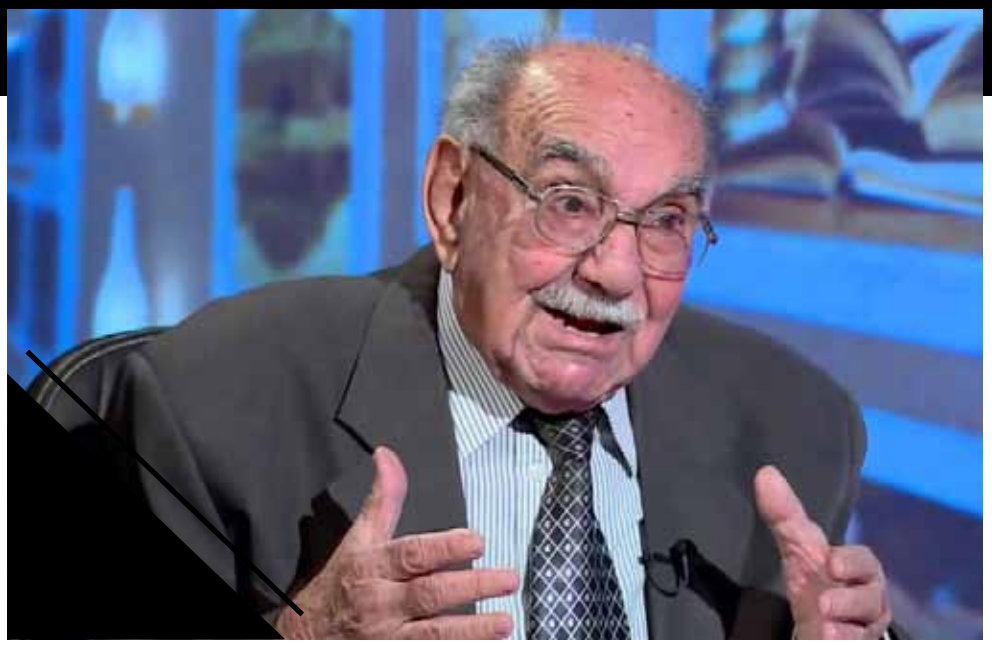

لم يدر في خلدي أن أكتب يوماً عن القامة الوطنية والثقافية والتنظيمية، الرفيق الفريد سمعان، فقد كنت دائما أسير بجواره، وانظر إليه كما لو أني انظر لواحد من رفاق فهد، فقد عاصره واستمع إليه، وحمل الأمانة في مجال الثقافة والتنظيم. فالشاعر الفريد سمعان، ليس شخصاً عادياً فقد وجد في خضم مشكلات العراق منذ الثلاثنيات مناضلاً في صفوف الحزب الشيوعي كشخصية وطنية وقفت عبر تاريخ العراق مع أهم تحولاته: مشاركات فاعلة في المظاهرات، أنشطة ثقافية، رئاسة مؤسسات للأدباء، محامياً للدفاع عن حقوقهم، مظلة للفقراء والمعوزين.

ياسين النصير*

عندما جئت بغداد من البصرة عام 1970، كان من بين الشخصيات التي شكلت عينّة من المناضلين الذين التقيت بهم في مقر مجلة «الثقافة الجديدة» في الباب الشرقي: الفريد سمعان، وابو كاطع (شمران الياسري)، عبد الرزاق الصافي، وفخري كريم، والدكتور صفاء الحافظ، ومن أول جلسة تداول بشأن الثقافة العراقية، قال لي الفريد: نريدك أن تكون ناقدنا الذي يغطي نشاطات الأدباء للمجلة.

ما كان وجـودي في بغداد إلا للاستزادة من العلم والثقافة، وأكون قريباً من نبض الحياة اليومية، وبالفعل كان الفريد سمعان النافذة الحيّة لي عندما جنّد نفسه لتمابعتي والاهتمام بي كأب يرعى الناشئة من الأدباء، وأول حصاد لي مع الزميل الناقد فاضل ثامر هو كتابنا المشترك» قصص عراقية معاصرة». قرأ الفريد سمعان مقالتي النقدية وصوب أخطاءها وقوّم منهجيتها.

بعد أقل من سنة انتظمنا سوية في خليتنا الحزبية التي كان يقودها، وكنت من بين زملاء أدباء وفنانين نؤسس شيئاً ثقافياً متميزاً هو نتيجة لما مرّ الحزب الشيوعي فيه من إنتكاسة في خطوطه الثقافية بعد شباط الاسود 1963. فأعدنا خطوط المثقفين، وكان الفريد أحد القادة الميدانيين الذين يتابعون عمل خليتنا الفتية. يأخذ بأيدينا في حلقات تثقيفة وتنظيمية أنتجت نواة للهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء الذي أعيد تشكيله عام 1972. بعد أن الغى البعثيون الاتحاد وحوّلوا مقره في ساحة الأندلس إلى مركز شرطة للجوازات.

اتسعت خطواتنا، واتسع الشارع العراقي بنا، واتسعت اشغال الثقافة والمثقفين، فصدرت جريدة «طريق الشعب» لنجد أنفسنا مع نخبة مدربّة من المثقفين يشكلون النواة الصلبة لقيادة الثقافة العراقية، كانت مميزاتها الوضوح والإرتباط بالثقافة الوطنية وانتاجها الأدبي والفني، كانت «طريق الشعب» مدرسة، لتصبح جامعة بصفوف أدباء ومثقفين وسياسيين، كان الفريد سمعان في قمة القيادة فيها، وفي خضم الحياة اليومية للشارع الثقافي الوطني.

في هذه الفترة التي استمرت لعام 1978 حيث اتسع ميدان العمل الوطني فضربت الجبهة الوطنية، كان الفريد يستضيف عدداً منا في بيته، وفي مكتبه حماية من ملاحقة الأمن، أو كفالته لمعيشة لمن لم يقدر منا على تحملها.

بعد عام 1978، وحيث تمت الهجرة القسرية لمجموعات المثقفين العراقيين، بقي الفريد في العراق، كما بقيت أنا، وجدت الفريد وحده في الشارع الثقافي الوطني، لايزال يحمل همّ الحزب والثقافة، كان يحذرنا من الخروج العلني، وعلينا أن نحترس كثيراً. كنت التقي به في سوق الشورجة حيث عملت لي دكاناً صغيراً للعيش، وفي مكتبه في شارع السعدون المحاط بالأمن نقضي بعض نهار، نشرب أو نعيد بعض ما مضى أو نتبادل بعض المنشورات، كانت خطواته لا يمكن احتسابها عندما تجده. الفريد لم يهاجر، ولم يهادن، ولم يخضع لظلم أو يستسلم لمخاوف.

كل شيء بعد عام 1978 تفكك، بقينا نخطو بقدمين فارغتين من اي مرسى مثلما كنا نسير إما إلى «الثقافة الجديدة» أو «طريق الشعب» أو لاتحاد الأدباء أو ل»الفكر الجديد»، الآن أصبحت أقدامنا فارغة من الجهات التي نقصدها، لم يبق لنا إلا الزيارات المتباعدة واللقاءات التي لا يحددها زمن أو مكان، هكذا بعدت بنا الأيام لأجد نفسي مرات عديدة التقي الفريد في الأسواق أو في الدرابين القريبة من مقر مكتبه، أو في بيته البعيد. ومن خلال هذه الخطوات كنا نتبادل منشورات الحزب وآخر مستجدات الأخبار، وبعض مايصلنا من أدبيات يجلبها لنا أصدقاؤنا الكرد من الشمال عندما يزورون بغداد، ومع كل لقاء مع أبي شروق يوصينا بالحذر وتوخي المراقبة والانتباه، فالسلطات مازالت خائفة من أقدام الشيوعيين التي تسير في شوارع العراق ومدنه وجباله وأهواره وسجونه وبيوته المخفية. لازلنا نتلمس وجودنا في عين الألاف من الناس الذين يعرفون من نحن، وما هي خرائطنا لبناء العراق. وقبيل هجرتي من العراق التقيت الفريد في مكتبه بشارع السعدون لأبلغه بالهجرة وعدم العودة، قال كن على حذر، فللسلطة أذرع في الخارج أيضا. ولم ينس ان يدس في جيبي بعض النقد.

وحينما استقرّ بي المطاف في هولندا، وعرفت أنه في المانيا اتصلت به، ووسط ضحكاته وقفشاته عرفت أنه سيعود للعراق ثانية، فقد جاء بزيارة عابرة لابنه، سيعود بعدها لعرينه في شارع السعدون. لقد كان نموذجاً للإنسان الوطني الملتزم بقضايا شعبه، تمر السنون ويصل عمره الى الثانية والتسعين، ولايزال معين الفريد سمعان يغطي على خطوط المثقفين والفنانين، فأي طاقة يملكها هذا الرجل الذي واصل النضال من سجن إلى سجن، ومن مظاهرة إلى أخرى. فقد كان نموذجنا الوطني بامتياز.

* ناقد عراقي

رجل بحجم الشام

تعرّفت على حاتم علي أيام سرق المشهد الدرامي السوري قلوبنا بروعته، وسحرنا بجمالياته، وقد كنا على مدى عقود من الزمن مُحتَكَرين كمشاهدين بالدراما المصرية.

شيء مختلف تماما قدمته الدراما السورية منذ بدايتها كان أقوى من كل الأعمال التي عوّدنا عليها التلفزيون، كونه كان حقيقيا حدّ إدهاشنا مثل المرآة التي عكست دواخلنا بكل تفصيلاتها.

د.بروين حبيب

حاتم علي كان واحدا من كوكبة النجوم الذين صنعوا تلك الدراما المدهشة، حيث الكل متساوون في الأداء، لا كومبارس ولا نجوم صف أول ولا ثان. عرفته على الشاشة ممثلا ثم مخرجا قبل أن أجتمع به في لقاء مطوّل. شهدت إطلالاته الأولى، وشهدت نجوميته السّاطعة، ثم قرأته ككاتب قصة جد متميز، ثم ها أنا أشهد غيابه المفجع، ليعيد مشهد غيابه شريطا كاملا لعشقي لسوريا وما عشته فيها من ذكريات حلوة من المحال أن تنسى.

غير كل المشاهد الحزينة التي قدمها حاتم علي جاء المشهد الأكثر حزنا من إخراجه أيضا لكنّه هذه المرّة كان مشهدا فريدا من نوعه منح فيه فرصة لجمهوره العريض أن يكون خلف الكاميرا، ويكون هو أمامها يؤدي مشهده الأخير.

هبّت الجماهير العربية إذن، وهبّت الشام كلها لوداعه، تبكي رحيل الحالم الذي رسم الكثير من أمسياتها الجميلة، وقدّمها لنا دافئة مشرقة عابقة بألوان من الروائح الثقافية التي تلاقحت على أرضها وأثمرت بما هو أجمل وألذّ.

هل كان ما شعرت به نابعا من الشّام فأوهمتني أنها شبيهة البحرين في حميميتها ومذاقها المألوف؟ أم أنّه نابع من تلك الصداقات التي تكوّنت بشكل عفوي، منذ زرت الشّام أول مرة، فما شعرت بغربة ولا بوحدة، ولا بذاك الإرتياب الذي يشعر به الغريب حين يحل ببلد أجنبي؟

أدهشتني الشام بعراقتها، وأدهشني موزاييكها الثقافي الذي وجدته كما تمنيت تماما. وأذكر كيف فتحت لي ذراعيها، خاصة مبدعيها وكبارها، كنت محظوظة جدا بذلك الحضن الكبير الذي وجدني في كنفه، وهذا موضوع يطول سرده، لكن لا يمكنني فتح موضوع حاتم علي دون فتح بوابة صنّاع الدراما وعلاقتهم ببرنامجي "نلتقي مع بروين حبيب"، فأنا أدين لهم بالكثير، فقد كانوا بالنسبة لي المدرسة الثانية والثالثة والجامعة الحقيقية التي تعرفت من خلالها على أهم الوجوه والتجارب الدرامية. كما لا يمكنني إلاّ فتح بوابة الشّام على مصراعيها، شام الحرف العربي، مقام إبن عربي، جبل قاسيون، وكل تلك الأماكن والرموز والعلامات التي ترسم لوحة جميلة لكل ما أعشق ووجدته.

من الصدف الجميلة والمحطّات المهمة في حياتي استضافة المخرج الكبير هيثم حقي لي هو وزوجته هالا محمد الشاعرة الموهوبة الذكية في بيتهما، فوجدتني محاطة بالشعر والفنون كلها دفعة واحدة في حضرتهما.

من حسن حظي أيضا أن تعرّفت على السيناريست ريم حنّا، التي استضافتني أيضا ونشأت بيننا صداقة متينة جدا. تعود صور لقائنا في مطعم النارنج بباب توما في الجانب القديم من الشام حول طاولة العشاء، وحديث شيّق قرّب مشهدية الأحلام السورية الكبيرة التي كان يحلم بها المبدعون والفنانون. كانت تلك من أول علاقاتي بالعائلة الفنية السورية، والتي امتدت حتى بعد تبعثر أهل الفن بسبب خلافات سياسية لا معنى لها.

بقيت بصمة ذلك الماضي في ذاكرتي وقلبي، وها هي تطفو على السطح كما لو أنّها حدثت البارحة.

في أرشيفي ذاكرة بأكملها عن المشهد الثقافي السوري، بدءا بحنا مينا الكاتب الذي عشقته من الغلاف إلى الغلاف، إلى المفكر والشاعر أدونيس الذي احتفى بي من أول لقاء بيننا في بيته بجبلة، إلى كل

من حاورتهم بحثا عن بصمات إبداعية تميز سوريا مثل الرسام نذير نبعة الذي حاورته في أليسار بيت عربي قديم، والمفكّر الطيب تيزيني الذي رفض أن يأخذ مكافأته المالية خجلا، وأذكر أنه قال لي إنه من المفروض أن يعطوني مكافأة على دوري التنويري عبر برنامج "وجوه»العام 2002 – 2003، كما حاورت الكاريكاتوريست علي فرزات ملك بلاغة الصمت، والفنان العراقي جبر علوان حين كان مقيما في دمشق، والموسيقي المبدع طاهر ماملي...كلهم كانوا يمثلون الشام، فلم تكن سوريا آنذاك كما تخيلنا مجرد ورشة جديدة للدراما التلفزيونية، وإن كان ما شدّني إليها بعد الرواية هي الدراما فعليا. لقد كانت أوسع من سماء صيفية مقمرة مرصعة بالنجوم، وكانت تعد بالكثير.

ثمة أوقات يستحيل نسيانها تحدثت فيها عن تلك السماء مع صديقيّ أمل عرفة وعبد المنعم عمايري، مع ضحكات نابعة من القلب لا تزال تنبض بالحياة في ذاكرتي. ثمة صور استثنائية لأمسية شعرية جمعت اثنتي عشرة شاعرة في الآرت هاوس، نظمتها الصديقة الشاعرة هالا محمد وهاهي تركض في شريط سحري أمام عيني كأنها حدثت البارحة، تحمل تفاصيل المكان الذي كان طاحونة قديمة قبل أن يُحوّل لفندق غاية في الجمال، ملتقىً لعشاق الشام والفن. كانت المفاجأة في تلك التظاهرة الشعرية إقامتي في غرفة تحمل إسم المخرج العظيم مصطفى العقاد الذي كان صديقي أيضا، وكان لكل شاعرة غرفة مجيّرة بإسم فنان من الكبار، فقد حملت كل غرفة اسما، مثل نزار قباني، ولؤي كيالي، وفاتح المدرّس، وآخرين.

تحضرني أيضا مهرجانات أدونيا للدراما، بكل زخمها وفخامتها، وتحضرني المدينة بروحها المتفرّدة، من المزرعة، إلى الحميدية، والأسواق القديمة، والعطّارين، وسوق ساروجة، إلى السيدة رقية التي زرتها مع الكاتب والسيناريست خيري الذهبي فارتبطت في ذهني به، وبمقهى النّوفرة حيث شربنا الشاي، كما ارتبط مقهى الرّوضة ومعهد الفنون بجمال سليمان، فكانت بداية لصداقة جميلة، مستمرة إلى اليوم.

يحضرني أيضا أحمد معلاّ الفنان التشكيلي الساحر الذي صمم ديكور وسينوغرافيا مسلسل الزّير سالم، حين دعاني لزيارة موقع التصوير، ومشاهدة كل تفصيلات المكان لذلك المسلسل الرائع. كما يحضرني أسعد فضة، بقامته العظيمة، وقد ارتبط به قصر العظم حيث صورت معه مقابلة من أجمل مقابلات برنامجي التلفزيوني.

كل هؤلاء والقائمة طويلة لذكرهم جميعا أدين لهم بالكثير لأنهم رفعوا من مستوى برنامجي، وشكّلوا إضافات مهمة لي. ومن بينهم حاتم علي، الذي التقيته بعد نجاح مسلسله صراع على الرمال، ويومها اكتشفت الخلفية الثقافية الواسعة والعميقة والصّاخبة لرجل هادئ، الذي يوحي لمجالسه كل الوقت أنّه غارق في التفكير. أكتشفت القارئ النّهم، وكاتب القصّة، والممثل والمخرج الشغوف بعمله، والإنسان المجتهد بكل ما أوتي ما قوة، والنّاقد اللاذع لنفسه ولعمله.

من معرفتي القصيرة به أحببت سرعة بديهته، وردة فعله الذكية، وأجوبته البليغة، وأدركت أنّه علامة فارقة في الدراما السورية التي أحببتها بوجهها السوري الخالص دون أية إضافات من هنا وهناك، ولي في هذا الموضوع ما أقوله، ربما في مناسبة أخرى إن سنحت لي فرصة. فلطالما وددت أن أكتب بغزارة عن «ذكريات الزمن القادم» لريم حنّا والمخرج هيثم حقي (أستاذ حاتم علي)، و»الفصول الأربعة" لدلع الرحبي وريم حنا، و»عصي الدمع» "و"التغريبة الفلسطينية" التي عشتها بكل جوارحي، والثلاثية الأندلسية، و»خان الحرير»، و"الثريا".

أحببت لمسة الأستاذ المبدع وإبتكارات التلميذ المجتهد قبل أن يصبح هو الآخر معلماً كبيراً، فلطالما أعجبت بإستمرارية مدرسة هيثم حقي وإثمارها، وكنت كما غيري من ملايين المعجبين بحاتم علي نحلم أن نرى وهو شاهد معنا ثمار من اجتهد في تعليمهم، لكنّه قرر أن يغادر باكراً، ولا أدري هل يمكن لصدمة موته التي وحّدت السوريين أن تُبقي على وحدتهم هذه؟ وهل يمكن للعائلة الفنية أن ترمم الشرخ الذي شطرها نصفين؟

من شهق لموت حاتم علي مصدوما وبكاه بحرقة وهو يتابع جنازته، سيدرك أن فجيعته وبكاءه كانا بسبب شيء مفقود أعاده حاتم إلى الحياة بموته، شيء مثل الحب ولكنّه أكبر، شيء مثل الجمال ولكنه أيضا أكبر، شيء كالذي فاضت به ذاكرتي، من ماضٍ عبقٍ لسوريا العظيمة، شامل وجامع لكل ما كانت تزخر به الشام وفقدته في غفلة منها حين تخاصم أبناؤها بعد اختلافهم بشأن مستقبلها.

الأكيد أن حاتم علي صفعنا بموته صفعة مفاجئة، أعادتنا لرشدنا ولو لحين، وهذا ما جعل البكاء عليه حارًّا وحارقا. لقد بكينا في شبابه شبابنا المهدور أيضا، وبكينا عبقريته التي حرمنا منها وهو في عز عطائه، وبكينا كل خساراتنا التي لا تعوض وكأننا رأينا مستقبلا ينتظرنا في نهاية انتظاره ...وبيني وبينكم بكيت زوجته ورفيقة عمره دلع التي أصبحت وحيدة، والخاسر الأكبر بموته، وقد حضرني إهداء خصّها به على مجموعته القصصية "موت مدرس التاريخ العجوز»: «إذا كان في القصص ما يستحق أن يُهدى فإلى الغالية د. الرحبي طبعا. كان ذلك سنة 1987، وأعتقد أن الإهداء ساري المفعول إلى الأبد ...

لا يزال العرض مستمراً..

بدر محارب

تعيد مسرحية "العيارين.. العرائس أيضاً يحكمون" نكهة مرّ وقت طويل على تذوقها، ذلك الطعم الذي شاهده كثيرون، ولازالوا، في مسرحيات كويتية خالدة، قُدمت في سبعينيات القرن الماضي، مثل عرضي "حفلة على الخازوق" و"علي جناح التبريزي وصاحبه قفة" اللذين قدما باللغة العربية الفصحى المبسطة، عبر كاتبين عربيين مميزين هما: محفوظ عبدالرحمن، وألفريد فرج، فكسب الجمهور محتوى متقناً ومشاهدة ممتعة، لا يزالان حتى اليوم من النماذج التطبيقية لطلاب كل أقسام دراسات الفنون المسرحية، وأيضاً لمحبي فن المسرح.

زهراء المنصور

استعمال الأرجوزات في نص "العيارين"، أسلوب ذكي لتمرير كلّ ما يمكن قوله عبر الدمى المتحركة

اشتغل الكاتب الكويتي بدر محارب على نص "العيارين" في نهاية الثمانينيات، لكنه لم يقم بنشره إلا في 2012، وهذا يعني مزيداً من التعديلات، ومزيداً من النضج المبهج. محارب خريج النقد والأدب المسرحي من المعهد العالي للفنون المسرحية منتصف الثمانينات، مال إلى الكتابة الإبداعية والإخراج أيضاً، لذا فهو صاحب رصيد ذي قيمة في تاريخ المسرح الكويتي، والدراما التلفزيونية أيضاً. عمل محارب في هذا النص على إعادة استخدام شخصية "علي الزئبق" ذات الصيت المميز لدى عموم الشعب، وأحد أشهر الشطار والعيارين في السير الشعبية؛ هذا الزئبق الذي أعاد توزيع الثروة بطريقته، فكيف لا يسعد الناس به، حتى مع إدراكهم لصوصيته التي تصب في صالحهم؟

ويشير الباحثون إلى أن أول إشارة للزئبق – الذي وصف بالفارس النبيل – هو ضمن حكايات "ألف ليلة وليلة" في مجموعة "حكايات علي الزيبق وأبوه حسن راس الغول وما جرى لهما مع دليلة المحتالة وابنتها زينب النصّابة"(1)، حيث يتصارع والده حسن الغول مع مقدم درك مصر، صلاح الكلبي، الذي يدس السم للأول، ويفوز عليه بالخداع، وتتوالى الحكاية حتى ظهور علي الذي يتحول إلى ذلك البطل الشعبي، الذي ينتهي به الأمر بعدم قبوله منصب قائد الشرطة، خشية أن تغيره السلطة إلى شخص لا يحسّ بمعاناة الآخرين، والبسطاء منهم تحديداً.

ويمسك محارب بمضمون الحكاية ليعيد تشكيلها في مجلس القاضي ذي "الصاجات الراقصة"! في قضية أرض علي الزيبق التي ورثها عن أبيه، ولكن شهادة الزور والرشاوى والنفوذ قبلها، تعطي الحق للشاه بندر بأخذ الأرض، وجلد البطل، وجلد كل من يعترض على ذلك!(2) الحالة الشعورية بالقهر مشبعة عند علي الذي سرق حقه/ خذله الحمار في شهادته/ عدم قبول شهادة الإسكافي لصالحه/ جلده في العلن، وغلبة الظلم الذي لا يرد، لأنه بفعل القاضي، المفترض أن يحكم عدلاً بين المختصمين/ وعدم مبالاة الآخرين –من المستضعفين أيضاً– لما أصاب واحداً منهم. هنا تولدت شرارة القهر التي تحولت إلى ما يشبه الميليشيات في حدوتته الأصلية، وإلى سلسلة انتقام ظريفة في النص من كل الذين سلبوا حقه وساهموا في ظلمه.

وقبل التعرف على نمط الشخصيات في النص، يهيئ المؤلفُ المتلقي للتعاطف سلفاً مع "الزيبق"، عبر القاضي الذي يظهر محاطاً بحاجبين يربطان صاجات كالتي تستخدم في الرقص الشرقي، في توظيف رمزي لكيفية سير العدالة عند القاضي، وهي نفس الحيلة التي استخدمت في عرض مشروع التخرج للفرقة الرابعة بالمعهد العالي للفنون المسرحية بدولة الكويت(3)، حين يتوافق شكل الشخصية مع مضمونها في توضيح كيف أن العدالة "تتلوى" أمام كل مصلحة شخصية مع النفوذ الذي يشبهها شاه بندر، عزرا الصائغ وعقيل العطار، في تمثيل للطبقة الرأسمالية المستحوذة على المناصب والمال، وأيضاً على ما يملكه البسطاء والفقراء، والصراع غير التقليدي الذي يخلق بين أفكار وتوجهات، وليس بين شخصيات حقيقية مقصودة بذاتها.

لجأ بدر محارب أيضاً، من أجل تحريض المتلقي على المشاركة الإدراكية، المتعلقة بفهم المعنى وسط الكوميديا السوداء، إلى طرح قضايا تدور في كل زمان، لأن التاريخ يعيد نفسه من وجهة نظر القراقوزات الرواة، فأدخل بعضاً من الأسلوب الملحمي الذي يعتمد التغريب في تقديم المألوف بطريقة غير مألوفة؛ مثل حيلة "بريختية" تساهم في رفع وعي المتلقي لبيان المتناقضات من حوله، هدم الحائط الرابع، وكسر الإيهام المسرحي الحائل بين الممثل والجمهور. ولم ينسَ أن يُذكرنا، مع نهاية كل فصل في "العيارين"، أن ثمة قراقوزات تنوب عنه في سرد الأحداث، تشاغب وتقول وجهة نظرها بشجاعة، ولكنها تقفل غالباً بجملة "لا يزال العرض مستمراً"، حتى لا يغفل المتلقي عن واقعه، ولا يفصله عما يشاهد في سيرة علي الزئبق، فما يحدث هناك قد يحدث هنا أحياناً.

واستعانة المؤلف بالتراث الذي أعاد صياغته ببطله الزئبق، وبشخوص آخرين محتملين في هذه الحكايات، استعارة ذكية يلجأ إليها الكثير من المؤلفين الميالين للكتابة على طريقة المسرح الملحمي/

التغريبي/ البريختي – وليس بالضرورة أن يفلح الجميع في اللعب بمكوناته أو توظيفه– من أجل الإسقاط على واقع أو حاضر أو تبعات لواقعة قديمة تلقي بظلالها للآن على الحاضر. فدافع بريخت كان الإنحياز لأفكار الثورة الاشتراكية ضد الرأسمالية، والتي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، ولأن التأويل فيها مفتوح وحمّال أوجه، خصوصاً حين يستدعي المؤلف مشكلة حدثت في الماضي شبيهة بما يحدث في الحاضر، فيقوم بتفريغها من محتواها الأصلي، وتعبئتها مجدداً بما يتناسب مع رؤيته العصرية حتى تحمل صورة مكتملة.

وليس غريباً أن يشير أستاذ النقد والأدب المسرحي الدكتور علي العنزي في مقدمته لنص "العيارين" إلى لفتة ذكية في اختيار المؤلف لشخصياته؛ فما هم – حسب رؤيته – إلا أجداد "الإنسان الجديد الراهن المساير لسلوكيات أسلافه" أصحاب النفوذ والسلطات والتجار، وحتى البسطاء الذين يكتفون بما تمنحهم الحياة، ويقبلونه بسلبية، دون تغيير، وهم يورثون أبناءهم ذات الصفات؛ فتخرج الأجيال المغلوبة على أمرها، مثل جينات يتناقلونها بينهم، فلا عجب إن حكم على إنسان يعيش في هذا العصر من اسمه بسعادة أو شقاء ورثت له مجبراً من لقب عائلته!

أما استعمال القراقوزات/ الأرجوزات في نص العيارين، فهو أسلوب ذكي لتمرير كل ما يمكن قوله عبر الدمى المتحركة، فهي تعلن أن الأحداث، والشخصيات، والمؤلف، والمخرج، والجمهور أيضاً من العرائس، وهم من يقومون بتحريكها(4)، أي أن كل العملية قائمة بين الوهم والحقيقة، بين أحداث قد تكون موجودة في الواقع، ولكن محركها قراقوز، الذي هو في الأصل دمية يحركها شخص آخر مخفي ليقوم بدور هزلي! فمن يحرك من؟ كما عمد محارب إلى الإشارة إلى أغنية "معبرة" عن الوضع، دون أن يكتب كلماتها، حتى يحيل الاختيار للمخرج، لكسر سير الأحداث، ومنع اندماج المتلقي مع الحدث، وحتى لا يكون هناك سياق درامي جامد. إن لم تكن الدمى هي اللاعب، فلن يتمكن ممثل يؤدي دور الشاه بندر (شيخ التجار) من التصريح بأن "اللف والدوران ضروريان لسلب الحقوق"(5)، وهي بالمناسبة الجملة التي أوحت للزئبق بعمل كل الحيل للانتقام منهم، وبالتالي لن يتمكن الممثل الذي أدى دور القاضي أن يصرح –بعد نوم الوالي ورغبته هو الآخر أن ينام– بالتعبير بجملة: "إذا السلطة التنفيذية نامت، فما عمل السلطة القضائية؟"(6) لأن هذه الجملة التي تبدو مباشرة، من الممكن أن تشير إلى السلطات في بلاد تنعم بالأمان، ومستقرة، أو خلاف ذلك، ويمكن أيضاً أن نعني الكيانات الصغيرة؛ مثل سلطة العائلة، وسلطة المجتمع، وإلى آخر هذه الدوائر التي تحيط بحياة الإنسان.

وحينما تعود الأمور إلى أصولها، بعد أن يصاب المجتمع بالخروق، جراء فساد السلطة العليا في "العيارين"، لن يستغرب رد فعل الحمار – مقدم الدرك لاحقاً – والذي عُيّن لسد فراغ المنصب، وحاجتهم إلى "طرطور"، حينما خيّره علي الزئبق بين حوائج الناس أو حماره الضائع، فاختار الأخير بلا تردد! لأنه ببساطة لا يحتاج المنصب، ولا يرى نفسه فيه، حتى من باب الوجاهة! معرفته الوحيدة بالحياة هي احتياجات حماره، حتى بدا التأثر به واضحاً في شخصيته الخنوعة، المطيعة لمن يحركها.

إشارة أخرى ضمّنها النص، حين سأل الوالي عن وقت صلاة العشاء(7) فلا يجيبه أحد، حينها يوجه سؤاله للصائغ "عزرا"، اليهودي، الوحيد في وسط مجتمع مسلم، ليجيبه ببساطة رصينة، متبعاً جملته بتحذير حول إحضار أمواله لدار الشرطة حفاظاً عليها من اللص الموعود! أليست كلها التفاتات تحتاج للنبر والتقليب مرة بعد مرة؟ فإن كانت غاية بدر محارب من العيارين تغيير المجتمع للأفضل؛ عبر التأمل، والتفكر، والنقد، والتغيير، فإن إهداءه المهور بالنص إلى "كل حر وحرة فقط"، سيجد غايته يوماً ما، ولو طال الانتظار.

الإحالات والهوامش

https://ayyamsyria./%D9%84%D9%B9%net/%D8

العيارين.. العرائس أيضاً يحكمون، بدر محارب، دار مسعى، الطبعة الأولى 2013م ـ ص 24

https://www.youtube.com/watch?v=u9mWaAVPutI

العيارين، ص 24

نفس المصدر السابق ص 18

نفس المصدر السابق ص 109

نفس المصدر السابق ص 98

الصرخة

سوسن حسن

تتوالى صرخات الفنان تبعات تبعات، هل هي صرخات استنجاد أو صرخات قلق من واقع متعب؟
لم تخفَ علينا هذه اللوحة الشهيرة للفنان النرويجي إدوارد مونش التي تمّ إعادة استخدامها في كثير من الأفلام السينمائية والمسلسلات. لا نستطيع الوقوف أمام لوحة كهذه دون انفعال، فما أن تقع العين عليها، حتى تشرع بالذهول، لتبدي اتصالها بحال بطل اللوحة المذعور.

يرجح رسم إدوارد مونش لهذه اللوحة بين العامين 1893 و1917، مع أربع نسخ أصلية، منجزة على مراحل مختلفة، وكأنها أتت لتؤكد استمرار الصراخ الخارج من أعماق الفنان، هو نفسه ذات الصراخ الذي يجسد الطبيعة القلقة للإنسان المعاصر، و لكن الذي لا يقوى على الإعلان عنه، فيحبسه بالداخل، ليجعله يتكاثر كالخشب المتراكم، بانتظار الاشتعال.

أول ما يشدّ انتباهنا في اللوحة، هو الرجل الذي يعكس وجهه مشاعر الرعب، واقفاً على جسر وهو يمسك رأسه بيديه ويطلق صرخة، على خلفية من الأشكال المتماوجة وتدرجات اللون الأحمر الصارخة.

إن أكثرنا التمعن في الخلفية، سنرى مضيق أوسلو البحري الذي يطل عليه المارة من حي ايكبيرغ ذائع الصيت، ويُحكى بأن مونش استوحى الإطار من غروب الشمس، وحاول تسليط الضوء عليه ليس من خلال اللوحة وحسب، بل كذلك بواسطة أبيات من الشعر المسطورة على طريقته:

كنت أسير على طريق مع صديقين،
كانت الشمس تغرب،
سرعان ما تحولت فجأة إلى دم أحمر
توقفت، تعبت ، واتكأت على السياج
رأيت في الأعالي دماء
وألسنة من النار فوق مضيق المدينة الأزرق والأسود
واصل أصدقائي، وبقيت هناك، أرتجف من شدة القلق
شعرت بصراخ لا نهاية له يمر عبر الكون
ويمزق الطبيعة

نجمع بأن اللوحة تجسد حقا أيقونة الذعر الوجودي في تأمل عواقب تقييد الإنسان عرش الرب، والمسؤولية اللاحقة التي ألقيت على كاهل الإنسان – الأوروبي – في إيجاد مغزى ومعنى للحياة بنفسه، من خلال شطب قول سيدنا المسيح عليه السلام: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، ليصبح كل شيء لقيصر مع الأسف.

نحن لا نستغرب، إذن، إن تعالت الصرخات، فلا عدالة في يد قيصر، ولا حكمة في أن يكون كل إنسان قيصر نفسه. صعب جدا ان يعلن الإنسان إحلال عرش لا يقوى على تحمل مسؤوليته، فيذعر. ما أكثر الذعر في هذه الأيام، بعدما خلّفت جائحة «كورونا» عواقب وخيمة، وحملت على الحكومات والناس أجمع مسؤولية إصلاح الضرر الناتج، وإنقاذ أكبر عدد ممكن من البشر. هناك من نجح وهنالك من أخفق ولم تتوقف الجائحة انتشاراً بعد، لا بل توالد الفيروس نسخاً أخرى. لقد توحدنا جميعاً في الضرر، والكل منا أبدى في لحظة أو في أخرى رغبته بالصراخ، و لو من الداخل، على غرار لوحة مونش.

أما عن عوامل الإلهام، يذهب دونالد أولسون، أستاذ الفيزياء الفلكية بجامعة تكساس، بفرضية احتمال أن يكون سبب الغروب الأحمر الحارق هو الرماد المنبعث أثناء ثوران بركان كراكاتوا عام 1838، فيما يشير المؤرخ روبرت روزنبلوم إلى استيحاء الفنان مونش هيئة بطل اللوحة من مومياء معروضة على ذات الشكل، استوقفته خلال زيارته لمعرض في باريس واستلهم منها رسم النسخة الأولى من لوحته.

يذكر بأن لوحة الصرخة نجحت كذلك في إلهام العديد من المؤلفين، أمثال الكاتب الكندي فينسينت تيبو الذي وظف اللوحة لإنتاج قصته القصيرة " حمل الفنان مونش الثقيل"، أو لورانت غراف الذي لم يتأخر كثيراً عن تأليف رواية "الصرخة الهاوية" معنوناً على غلافها العبارات الآتية: "إنها قصة نهاية العالم، متلخصة في نهاية عالم إنسان".

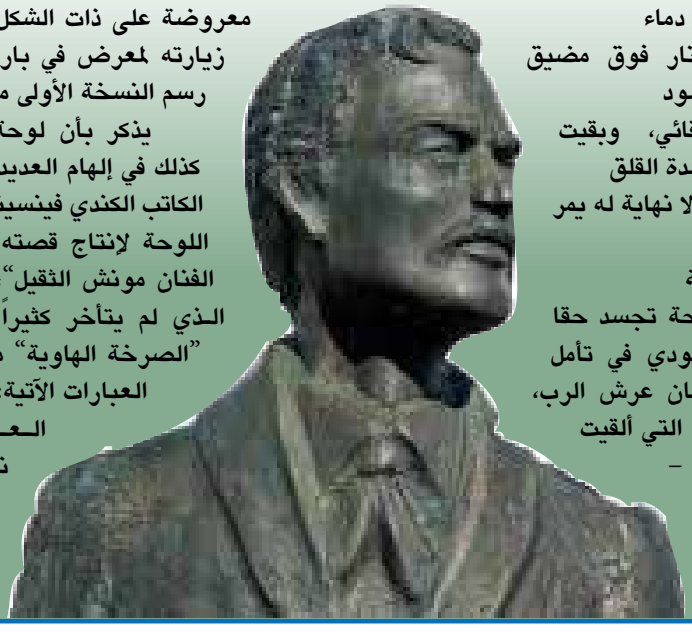

الهيئة العربية للمسرح
Arab Theatre Institute

«موكشا» الدرازي ضمن قائمة الـ ٢٠ بمسابقة "المسرح العربية"

تأهل النص المسرحي «موكشا» للرفيق عيسى الدرزاي، لقائمة العشرين في مسابقة التأليف المسرحي الموجه للكبار بنسختها الـ 13 للعام 2020 التي تنظمها الهيئة العربية للمسرح.

وشهدت النسخة الحالية من المسابقة مشاركة 535 نصاً في فرعيها، حيث راجعت لجنة التحكيم في المسابقة الموجهة للكبار 258 نصاً من مختلف الدول العربية، فيما راجعت لجنة مسابقة التأليف للأطفال 277 نصاً مشاركاً.

وهنأت الهيئة العربية للمسرح في بيان إعلانها عن النصوص التي دخلت القائمة العشرين «الكتاب الذين تأهلوا لقائمة العشرين بعد تنافس شديد، مما يعتبر إنجازاً هاماً، خاصة وأن قائمة العشرين وعلى مدار النسخ الماضية حملت اسماء لامعة في عالم النص المسرحي، وصارت مصدر اعتزاز للمتأهلين». وحيت الهيئة كافة المشاركين حيث أشارت تقارير لجنتي التحكيم إلى وفرة في النصوص الجيدة.

من جانبه، قال الدرازي: «إن نص مسرحية «موكشا» هو ديودراما يتناول مسعى البحث المستمر للإنسان في رحلته للبحث عن الخلاص والطمأنينة».

يشار إلى أن مفردة «موكشا» التي اختارها الكاتب عنواناً لنصه، هي مصطلح يستخدم في الديانات والفلسفة الهندية ويعني الانعتاق أو التحرر أو الإطلاق.

«التقدمي» تهنىء الزميل الدرازي سكرتير تحريرها، وتتمنى له المزيد من النجاحات والعطاء.

رائحة الفواكه

انتهى العزاء أخيراً. وغادر المعزون. أنا وهي الآن في البيت وحدنا. وأنا سيدة المنزل بالطبع، كما كنت. وسأبقى دائماً. دخلت غرفتها دون أن أطرق الباب ووجدتها، كما توقعت، واقفة قرب النافذة بألوان زاهية، ورائحة فوّاحة. كنت أعرف أنها لن تحزن عليه وقد قلت له ذلك مرارا. لكن ذلك لم يكن يزعجه. كان يدافع عنها في كل الأحوال، ويحبها. الآن .. لم يعد هناك من يحميها ويمنع عنها الأذى. لقد مات الذي كان يدافع عنها طوال الوقت، وحانت فرصتي. يمكنني أخيراً أن أطردها من بيتي بلا رحمة، ودون رادع.

قصة: فتحية ناصر

آه كم هي ساكنة وهادئة. تتظاهر بالرقة والوداعة، وأنا أعرف جيداً أنها ليست بريئة من موت زوجي. لكنها لن تعترف مهما استجوبتها. ولن تدافع عن نفسها أيضاً. تماما مثلما لا تشعر بالذنب لما فعلته به، ولن تستفزها نظرات الاتهام التي أوجهها لها، ولو بقيت أحدق فيها مئة عام. إنها بلا أي مشاعر، كأنها مصنوعة من نحاس.

بحقد غير دفين، حدقت في قامتها المنحوتة. وذراعها الملتف بدلال حول خصرها الدقيق .. كل ما حظيت به من استدارات وانحناءات أغدقها عليها الصانع الخلاق. وما يستفزني فوق كل شيء هو رأسها المنتصب بشموخ المنتصرين. تخيّلت نفسي أشدّها من ذراعها وأسحبها، دون أي مقاومة منها ولا اعتراض، ثم أسحلها على الأرض طوال المسافة الممتدة من غرفتها وإلى باب البيت الذي سأرميها خارجه. تخيّلت، ثم خطوت نحوها لأحول الخيال إلى حقيقة، فصفعتني رائحتها المقيتة. إنها الأدوية. نعم أعرف. حسناً، لن يناولها أحد من اليوم فصاعداً تلك الأدوية. وشيئا فشيئا ستموت الرائحة، ويكون الوقت مناسباً. نعم من الأفضل ألا أتسرع. ثم .. ماذا سيقول الجيران إن رأوّها – الآن – في الشارع ؟ إن زوجي للتو مات وتخلصت منها بهذه السرعة!؟. كلا. لن أتيح الفرصة لأي أحد أن يتصيّد أخطائي.

كانت الليلة موحشة جداً. كلما أغمضت عيني للنوم سمعت صوت سعاله، وشعرت به يتقلب على السرير بقربي. فنهضت أتأمل في شهادة وفاته. كتب الطبيب أن الوفاة ناتجة عن سكتة قلبية. لكنني أعرف أنها هي التي قتلته. كانت تدس له السم بجرعات كل يوم. وحين أخبره، لم يكن يُصدق. يظن أنها لا يمكن أن تؤذيه، ولا أدري لم كانت ثقته بها عمياء لهذا الحد ؟. أم أنه كان فقط يتكل على الله، أو يراهن على حسن حظه ؟!.

لم أنم. استلقيت على السرير وأخذت في استعادة الأعوام الطويلة من حياتنا المشتركة.. كنت قد تزوجته شاباً مستقيماً، طموحاً، وجاداً في حياته. لكن من يدري كيف يتغير الانسان منا بمرور الزمن، وكيف يغير أسلوبه والطريق الذي يسلكه في الحياة.

بعد الأعوام الأولى، الهادئة، بدأت المشاكل المادية تفسد كل شيء جميل بيننا، كعادة الزواج. احتياجات الأطفال التي لا تنتهي كانت تشعره بالإحباط. فكان يهرب. يغيب عن البيت لأوقات طويلة أوهمني في البداية أنه يؤدي خلالها عملا إضافياً. ولكن الرائحة فضحته. كيف أصفها؟. إنها رائحة متبجحة. وقحة. تعلن عن نفسها بكل صفاقة وبلا خجل. حين واجهته بالأمر، أنكر في البداية. «إنها رائحة فواكه» قال متهماً إياي بالشك والمبالغة. لست مغفلة. كنت أعرف الرائحة طبعا وهي ليست رائحة واحد من عطوري. لذلك ضغطت عليه أكثر. حينها اعترف بوجودها في حياته. تشاجرنا كثيراً.. خيّرته بينها وبيني، فأصبح يعاقبني بالغياب عن البيت لوقت أطول.

فكرت بأنني أخطأت بمواجهته. كان علي أن ألزم الصمت. على الزوجات دائما أن يلزمن الصمت لكي تسير الحياة. وعليهن أيضا الاكتفاء بعودة الزوج للنوم في بيته. سواء عاد لأنه يحبنا (قليلاً)، أو لأنه معتاد، أو لأنه مضطر. وفي الوقت الذي اكتفيت فيه بذلك، كنت بيني وبين نفسي أحاول أن أحلل الأسباب التي دفعته إليها، وأصلح عيوبي. وأحبب إليه من جديد جو البيت والأسرة. فتحملت الكثير. ولم أطلب منه شيئاً حتى لا أزيد همومه ولا يتهمني بكثرة التطلب. وكنت أراه يخرج للقاءها مرتين أو ثلاثاً في اليوم وينفق في اللقاء بالطبع، المال الذي يشتكي من قلّته، والوقت الذي نحن أولى بوجوده فيه معنا. لكنني لم أتكلم . سكتُّ عن الكثير ... على أمل أنها مرحلة من حياته ستنتهي يوماً. ولا أنكر أنه كان أحيانا يشعر بالندم. فيصحو الجزء الطيب فيه من جديد، ويخبرني بأنه قرر تركها معترفا بتقصيره. ولكنه ما يلبث أن يعود إليها مرة أخرى، ذليلاً، مهزوماً، مدحوراً؛ حتى شككت بأنها سحرته!. وحين تطور الوضع إلى حد أن جاء بها إلى بيتي، استسلمت. وأدركت أن العلاقة لن تنتهي أبداً.

دخل البيت يحملها على ذراعه كالطفل. رأسها يستقر على زاوية كوعه. خصص لها الغرفة المجاورة لغرفتي في الطابق العلوي ولكنه كان أحيانا ينزل معها إلى حديقة المنزل، وحينها كنت أحبس نفسي في غرفتي متظاهرة بالنوم وأطلّ من الشباك. أرى كيف يعتني بها .. يلقمها الأدوية التي تعيش عليها. ثم يمسك بذراعها طوال الوقت، يطبع عليه القبلات كل حين. لا أذكر أنه أمسك يدي مرة بهذا الشكل، ولا حتى من باب المواساة !. بيده الأخرى، يرتب لها أحيانا رأسها، ثم يحدث أن تحيطهما غمامة فلا أستطيع معها أن أراهما بوضوح. لا أسمع له صوتاً. ولكن صوتها يصلني مجلجلاً. مستفزاً، مثل ضحكة ماجنة تسخر بها مني.

منذ دخلت بيتي شعرت بأنها نذير شؤم. وكلما جالسها كنت أشم رائحة الموت تحوم حولهما. نعم .. هذا هو الوصف المناسب. رائحة الموت. لا «رائحة الفواكه"!. من الغريب كيف تتفاوت حواسنا في استقبال كل شيء لمجرد أننا نحب أو نكره. وبالطبع لأنه يحبها يتحمل أي شيء يصدر عنها، حتى صوت بطنها الذي يقرقر بدوي هائل طوال الوقت مثل جائعة لا تشبع. ومن يدري ربما كان يسمعه أيضا كأعذب الألحان!

آن الأوان اليوم، ودخلت غرفتها أخيراً لأنهي إقامتها في المنزل. كنت أقلّ غضبا منها. وأقلّ حزنا عليه أيضاً. جمعت كل ما يخصها، وأثناء ذلك وقعت عيناي على بعض الصور. كانت في عدد منها تقف بذراع يتلوى وبقربها شعار يقول بأنها «أخطر مما تظن» !. وهناك صور أكثر قبحاً، مع تشكيلة من التهديدات التي لا يصغي لها أحد. أدوية سرطان. قلت في نفسي بتهكم. ومع ذلك لا أحد يبالي. أكملت جمع أشياءها بلا ذرة تأنيب ضمير. وتخلصتُ منها، وأنا أشعر بالسلام.

حين عادت حياتي لطبيعتها، وفي طريقي للعمل، كنت أرى أمثالها كثيرات. يجالسهن الشباب في المقاهي، وأحيانا حتى على الأرصفة. يتناقلون أذرعهن، يتنفسنهن. أشمّ تلك الرائحة. فواكه، أتذكر المرحوم يقول. ثم أسمع الشباب هناك ينادون: "عنب"، "ليمون ونعناع»، «حجر، رأس، فلتر». و..» تفاحتين» ينادي كثيرون. «قطران ..» أهمس لنفسي. ثم أنظر لاسم المحل الذي دوّن صاحبه تحته نكتة مبشرة لزبائنه اليائسين من تحديات الحياة. المنتحرين ببطء. تقول إن من فوائد تدخين «الشيشة» أن المدخن لن يصاب بالشيخوخة، لأنه سيموت في شبابه.

التنوير في الأدب البحريني (١– ٢)

حين الحديث عن التنوير يعني الذهاب إلى منطق العقل؛ فالتنوير أو ما أطلق عليه عقلنة الواقع، يأخذنا مباشرة إلى الحركات الثقافية والفكرية والفلسفية التي عاشتها أوروبا خلال القرن الثامن عشر وبخاصة بعد هيمنة الكنسية آنذاك على مقدرات المجتمع والواقع والإنسان، وفي مقابل ذلك الدعوة إلى تحرر المرء من الوصاية التي تؤكد عليه مباشرة أن يطيع وإن فكر أو عارض أو تساءل، ولكن أي مفهوم أو مصلح أو مبدأ أو فكرة ما يريد أصحاب الفكر المستنير والمتطلع تطبيقها على أرض الواقع، لابد، قبل التنفيذ مراجعة إمكانية التطبيق نفسه من خلال نسج علاقة وطيدة بين الفكرة وأصحابها في إطار القناعة التامة، وكذلك أخذ الفكرة من جانب تصورها على أرض الواقع، ومدى إدراكها من المؤمنين بها، وأفراد المجتمع، بالإضافة إلى تلك الوسائل وآليات العمل والتنفيذ التي لا تشكل خطرًا أو ردة فعل مجتمعي.

د. فهد حسين

المعرفة العلمية وتحويلها إلى مشروع سياسي – اجتماعي هي اول شروط التغيير المنشود

وبعيدًا عن تلك الأبعاد التاريخية لعصر التنوير، وحركته داخل المجتمع الأوروبـي عامة والفرنسي بشكل خاص، فإن جل الأمكنة الغربية المتواجدة فيها العقول المستنيرة آنذاك كانت تحتضن الأفكار المعنية بتغيير حياة الناس، وتحويل المجتمع المنغلق إلى مجتمع منفتح، مجتمع يسهم في تحديث أدواته من أجل الارتقاء بالإنسان ومجتمعه، لهذا كانت الصالونات الأدبية والثقافية والمقاهي المنتشرة، فضلاً عن عدد من المطبوعات التي تحمل سمات الدعوة إلى التغيير والتفكير، كل هذه كانت تؤدي الدور المنوط بها من أجل المساهمة بشكل أو بآخر في تنوير أفراد المجتمع، بمعنى آخر جاء التنوير كرد فعل في الدول الأوروبية على ممارسات رجال الكنيسة آنذاك باسم الدين المسيحي، وأدخلوا دولهم وشعوبهم في عصور مظلمة، بدءًا من القرن السادس عشر حتى حدوث التغيير في القرن الثامن عشر.

ومن هنا فالتنوير لم يأت صدفة أو من فراغ، وأن حالة التطور الاجتماعي والثقافي لم حدث مباشرة وتكون على أرض الواقع، بل ظلت هذه الرؤى، وعاش أصحابها طبيعة المجتمعات، ومكوناتها وتكوينها في سياق الأضداد والثنائيات، ففي الوقت الذي نعيش الليل والنهار، فإننا نعيش الثابت والمتحول، نعيش في المكان بوصفه ثابتًا، ونعيش في الزمان بوصفه متغيرًا ومتحركًا، وفي ظل هذه الثنائيات المتعددة يبني المجتمع نفسه، ويقود أفراده على اختلاف حقولهم وتوجهاتهم وتطلعاتهم وأفكارهم ومخزونهم المعرفي مجموعة من الأفكار التي تسهم في صنع حياة أفضل تتسم بالتحديث، وتؤمن بالمتغيرات والتحوّلات، لهذا لا يمكن للأدب والثقافة أن تقدما رؤية تجاه التنوير والتطوير إلا في سياق هذه الأضداد وتلك الثنائيات، أي كيف يمكن لنا الإشارة إلى أن هذا تطوير، وذاك تنوير إلا إذا لاحظنا ولامسنا ما في المجتمع من تراجع وتخلف وانغلاق، أو على الأقل بعض التباينان.

ولا شك أن التأثير الغربي وقع على أرض العالم العربي من خلال الأفكار التي نادى بها فلاسفة التنوير ورجالات الفكر والتربويين والعلماء والأدباء والنقاد وغيرهم في أوروبا، أمثال. فولتيو، جان جاك روسو، هيوم، فرنسيس بيكون، إسحاق أنيوتن، اسبينوزا، أما من حاول القيام بفعل التنوير عربيًا، فهم أولئك الذين زاروا البلاد الغربية عامة، وفرنسًا تحديدًا، أو الذين تأثروا بالآخر الغربي عبر التواصل غير المباشر من خلال المطبوعات والإصدارات، أو من خلال التواجد الأجنبي على الأرض العربية، ومن هؤلاء ذكرًا لا حصرًا: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، عبدالرحمن الكواكبي، خير الدين التونسي، رفاعة الطهطاوي، رشيد رضا، قاسم أمين، فرج أنطوان، الطاهر حداد، شبلي شميل، إسماعيل مظهر، سلامة موسى، الزهاوي، محمود أحمد السيد، طه حسين، سعد زغلول، معروف الرصافي، وغيرهم الكثير.

وعلى الرغم من النقد وعدم الرضا، والتباين الصارخ من قبل عدد من فئات المجتمع العربي، فإن الساحة العربية ولادة بالمفكرين المؤمنين بالتنوير وتحديث المجتمع، لهذا لحق بركب التنوير مجموعة طليعية من المفكرين والكتاب المتميزين المنادين بقراءة تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وتاريخنا الحضاري والفكري والثقافي والأدبي، أمثال: محمد أركون، وصادق جلال العظم، ونصر حامد أبو زيد، وحسن حنفي، وجورج طرابيشي، ومحمد عابد الجابري، عبدالله العروي وسواهم، ولكن في خضم هذا التباين، والتأكيد على تطوير المجتمع بما يتوافق والتحوّلات الفكرية والفلسفية والثقافية، هل لنا أن نتساءل: ما التنوير؟

هل هو ما كان يؤكد عليه كانت بأن التنوير يتمثل في محاولة خروج الإنسان من بوتقة القصور والاعتماد على الآخر في التفكير بدلا عنه، ذلك الآخر الذي يرسم له مسيرة حياته، ونهجه في الحياة؟ وكأن هذا التنوير هو رفع الوصاية على الإنسان، وأن يوظف عقله للتخلص من عجزه في التكفير، وهنا أشار الدكتور سليمان الشطي في كتابه (إضاءة وتنوير – 28) بأن صاحب المحل التجاري يقول: لا تفكروا بل ادفعوا، ويقول رجل الدين: لا تفكروا بل آمنوا، يقول صاحب القرار: فكروا ما شئتم وفيما شئتم، ولكن أطيعوا.

وإذا كان التنوير ضد الوصاية، فهذا يعني لابد من تحرر الإنسان من الوصاية نفسها، والتفكير في التخلص من العجز الذي يمنعه من توظيف قدراته لفهم الواقع والحياة والإنسان والكون، ولكي يحقق هذا التحرر عليه أن يوظف العقل بوصفه الطريق المنطقي والمنهج العلمي لفهم ما كان ويكون في دائرة التاريخ والحضارة، وفي طبيعة الأنماط الاجتماعية، والمستويات الاقتصادية، والتطلعات السياسية، والقراءة الفاحصة لمكونات المجتمع وأفراده في المجالات التي تشكل عقول الناس، وهذا ما أكده تودوروف في كتابه (روح الأنـوار – 13) أنه " لابد أن تكون استقلالية المعرفة في مقدمة ما سيفتك من استقلاليات، وتنطلق استقلالية المعرفة من مبدأ مفاده أن ليس لأية سلطة مهما كانت راسخة ومحترمة أن تبقى في مأمن من النقد، وأن ليس للمعرفة سوى مصدرين هما العقل والتجربة "، أي في كيفية فهم النص الديني، والنص الأدبي والنص الفلسفي وغير ذلك، وهذا يتطلب من مؤمني الفكر التنويري أن يحاربوا الجهل والخرافات والخزعبلات والأوهام، وكل شيء طارد للمعرفة، ومقاومة فخ التطرف والجهل والتعصب، الأمر الذي يؤكد ما ينادي به التنوير من حاجتنا إلى الحرية الفردية المسئولة، وقبول الآخر مهما كان دينة أو جنسه أو طائفته أو مذهبه أو ملته أو قوميته .. إلخ.

أحمد محمد الخليفة

إبراهيم العريض

عبدالرحمن المعاودة

وحتى نقترب من النص الأدبي البحريني وعلاقته بالتنوير، نتساءل: هل التنوير هو عقلنة العلم؟ أم هو الاهتمام بالإنسان وعلاقته بالمجتمع؟ أم هو بناء مجتمع سليم وإنساني؟ أم هو الحرية؟ أم هو كل هذا؟ وهنا أيضًا يتساءل حليم بركات في كتابه (غربة الكاتب العربي – 66): " كيف نفهم العلاقة بين الكاتب والكتابة كتعبير عن الذات، وبين الذات والواقع المختلف في أبعاده؟ أليست الكتابة عملية خلق وإنتاج في آن واحد؟ "، وهنا حين نحاول المقاربة بين النص الأدبي البحريني والحالة التنويرية، فلدينا النص الشعري، النص السردي، والنص المسرحي، والدراما التلفزيونية والأفلام السينمائية، فضلاً عن الدراسات الثقافية والنقدية، وكذلك دور الصحافة، وأن التنوير لا شك جاءنا من مناطق عربية شمالية كما هو واضح تأثرًا بالمنجز الأدبي العربي.

ومن قرأ شعر الشعراء إبراهيم العريض والشاعر عبدالرحمن المعاودة والشاعر أحمد محمد الخليفة وغيرهم من تلك الأجيال التي هيأت الأرضية الشعرية لشعراء البحرين المعاصرين فيما بعد، عرف ولاحظ عمليات التأثر في بناء النص والمرجعيات التي كان يتكئون عليها، أي كان تأثرهم بالنص العربي القديم ومرحلة الإحياء واضحًا، ولكن بعد هذا التأثر نهج الشعراء أنفسهم مناهج وطرقًا يرون من خلالها سبل التنوير المجتمعي في المجتمع، أي بات لكل واحد من الشعراء منهجه وطريقة كتابة شعره ورؤيته للعالم والحياة، ثم جاء بعدهم شعراء آخرون اهتموا أيضًا بالقراءة والاطلاع والبحث والتقصي، فانتجوا نصوصًا إبداعية باتت تضاهي النصوص العربية الأخرى، ويفوق بعضها أيضًا.

وبالمثل كان للنص السردي بدءًا بالقصة القصيرة وصولاً إلى الرواية، إذ كان التأثير واضحًا في النصوص الأولى التي نشرت في الصحافة البحرينية والخليجية آنذاك منذ الأربعينيات، إذ نجد كتابات الشمال العربي المشرقي عامة والتأثير بالكتابات المصرية تحديدًا في النص القصصي البحريني، ولكن بمرور الوقت، لم يقف هذا الجيل عند مرحلة التأثير بقدر ما حاول هو والأجيال التي جاءت بعده، وتحديدًا في السبعينيات للخروج من محيط التأثر العربي إلى التأثر بالمنجز العالمي، والأخص المنجز الأدبي الروسي وأمريكا اللاتينية، فضلاً عن القراءات الأخرى في الآداب العالمية أيضًا، فبرزت نصوص إبداعية سردية قصصية ثم روائية كما ظهرت في مقابلها نصوص شعرية، لنجد في هذا النتاج البعد التنويري، إن كان في شكله المباشر أو الخفي، وفي إطار المبادئ المنادي بها التنوير نفسه، ويؤكد ذلك ما نقله تودوروف في (روح الأنوار – 100) عن (فيكو) الفيلسوف الإيطالي وأحد مؤسسي فلسفة التاريخ، « أن المعرفة بواسطة الاطلاع على الأسطورة والشعر أنسب في بعض المواضيع من تلك التي تعتمد على العقل المجرد «، أي علينا ألا نلغي من حساباتنا دور العلوم الإنسانية عامة، والأدبية بشكل خاص، فلربما قراءة رواية تكشف لك طريقًا مهمًا في مسيرة التنوير، والوعي بالمجتمع كما هي رواية الأم لمكسيم غوركي.

ولكن ربما يقول البعض أن هذا ليس تنويرًا بقدر ما هو نشر فكر إيديولوجي معين كان يؤمن به هذا الكاتب أو ذاك، وهذا صحيح إلى حد كبير؛ لأن المفهوم العام لفعل التنوير عند عدد من المثقفين والكتاب حتى وقت قريب يكمن في توعية المجتمع بقضاياه المختلفة من خلال الفكر المؤدلج، وهنا نتساءل، أي تنوير نرمي إليه نحن الكتاب والمثقفين والمبدعين؟ هل ما يتوافق وما نحمله من فكر ووعي في محيط إيماني بإيديولوجية معينة، أم الأمر مختلف تمامًا، حيث التنوير لا يرتبط بالفكر المؤدلج، وإنما بالأفكار العامة المعنية بالعدالة الاجتماعية، والحرية، واحترام حقوق الآخرين، وفيما يتعلق بالتعليم وحضور المرأة والجندر وغيرها من تلك السياقات التي تنادي بها العديد من المنظمات الدولية ذات التوجهات الحقوقية في العالم.

من هذه التباينات في الرؤى تجاه مفهوم التنوير، نحد الكثير من التيارات الفكرية ذات الصيغ المختلفة، الفلسفية أو الفكرية أو الثقافية أو الأدبية أو الدينية، وغيرها، ترى نفسها وما تحمله من فكر ووعي يرتبط بنهجها الفكري هو المشروع الذي ينير المجتمع ويسهم في تحديثه وتطوره، وهنا يقول حليم بركات أيضًا – ص132: إن الثقافة العربية " ليست شيئًا واحدًا، ولم تكن في مختلف عصورها إجماعًا وخارج التناقضات والمواجهات والصراع، وقد أسهم عدد من المفكرين في تحليل المواجهات والمعارك بين القديم والجديد، بين الإبداع والتقليد، بين أدب الحياة، وأدب الكتب، وأدب الذاكرة، وأدب المعاناة الوجودية، وثقافة اليقين وثقافة الشك، وثقافة العقل، وثقافة القلب، وأدب الوصف، وأدب الكشف، وبين الثابت والمتحول ... "، وهذا يفرض علينا وضع جل الأفكار الداعية إلى التنوير ودراستها ونقدها لمعرفة مدى صلاحيتها في بناء المجتمع والإنسان والحياة، وبخاصة إذا آمنا أنه ينبغي على التنويريين حماية الإنسان، وتعليمه لكي يستخدم عقله من أجل التحرر من كل المعتقدات التي تفرض عليه الوصاية من جهة، وانغلاق التفكير من جهة أخرى.

خمس عشرة مرآة..

ولا أرى وجهي

نصوص: مهدي سلمان

مرآة الرواق

حين لم تعد مؤمناً.. ولم يعد يعنيك شيء، صارت الأشياء كلها ملساء لا وجه لها، وصرتَ تقرض أظافركَ أمام الدخان، وتتعثر بالكلمات التي لم تعد تثق بقوتها. تندسّ في حضن من رماد، وعيناكَ تدمعان صدأ خوفك..
حين لم تعدً مؤمناً، وبأصابعك الملفوفة تحكُّ ملامحنا الواضحة تطلق علينا رصاصات العمى من مسدّس إغماض.. تفتلُ شاربي هلعك أمامنا بتجاهلٍ يشبه النسيان.

مرآة الحقيبة

الآن أنت فقط صفعة مفاجئة على الزجاج
وعَرَقٌ خَفيف من أصابع طرية، يترك بصمة حقاً
لكن الغبار كفيل بمحوها
الآن، أنا فقط تهشّم الزجاج إثر الصفعة
لم يتفتت، بقي متماسكاً،
والغبار، الذي سيمحو البصمة
سيشكل على خطوط الزجاج المتقاطعة
بصمة أخرى
كأنما بصمة الزمن.

مرايا واجهات البنايات

أول اليأس يسحبك كالغريق إلى القعر
بعد أن تترك نفسك له، بعد أن تيأس من اليأس؛
سترى أنك ثابت، كأنك شجرة ميتة، أو حجر مهمل
لا تخش بعد، لليأس حيلة أخرى
في مرحلته الثالثة، يعطيك اليأس خفة غريبة
كأنك تسبح في ماء، أو تتحرك في اللاجاذبية
إنك السمكة في حوض صغير وضيّق
لا تحتاج أكثر منه.

مرآة الحلاق

هذا حزن خفيف يقشر الروح ولا يحفرها، كحجل يرف قرب الأرض لا يثقب سماءه ولا يكاد التراب يشعر بقدميه، حزنُ ما انتهى ونُسي ولم يبق منه إلا خاطر مموه،
حزن تناديه ليحط على كتفك وأنت ماض في هدوء الذاكرة، تستطيع التفاهم معه بعينين لا تطرفان، أو تنهيدة لا تحس، حزن خفيف كالتفاتة لخلف خائف.

مرآة فيلم

لا أحد يشبهك
تأخذ بيدي كل ليلة
تضغط على رقبتي
ولا تترك قبلا
كمنوم مغناطي تتركني أغمض عيني
تدخلني عوالمك، تتغول في عوالمي
تصف لي الحياة، وتنصفني منها
أنت، بميلان خدك الداكن
وصوتك الحاد كقطرة مطر على الزجاج
يا خوفي، يا خوفي
لا أحد يشبهك
حين تضع رأسي في حجرك
وتبدأ في الفحيح.

مرآة المحمول

ثمة من يحاول أيها العدم..
يحفرك من الجهة الأخرى
لا، ليس النجاة التافهة
إنما الصدمة بك
رفع القماشة الأخيرة عن وجهك
والقول بكل يأس
كم أنت جميل
كم أنت جميل أيها العدم
كأنك اللست شيئا
تلتمع عيناه
في ضوء شبحي
آت من مشكاة بعيدة
هي الحياة
هي الحياة
لا علاقة لنا بها..

مرآة في غرفة الطبيب

إني أتنفس
إني حيّ
وبالرغم من هذا، ثمة من يجري لي تنفساً اصطناعيا
يضغط على صدري
يقبلني قبلة الحياة
بين حين وحين
في يوم أو آخر
ومهما قلت له، إني اتنفس
لا يسمعني
إني حي
لا يلتفت لي
يضغط أكثر
وينفخ في فمي
كل الهواء..
الهواء الذي أختنق به
ولا أموت

مرآة المصعد

سيكون لانهياري صوت القهقهة
سيظنون أني أضحك
وحين ينتبهون
لن يروا سوى غباري
يغطي وجوههم المتفاجئة

سيضحك واحدهم على الآخر
سيقهقهون كذلك..
وعندها فقط
سيكون لانهياري معنى.

مرآة البار

أعمى، ولكن لا يرى عماه
وكلما اصطدم بحائط
تخيل حضناً

مرآتكِ أنتِ

كالسكين
ابتسامة الهزيمة
التي تقطع وجهي الآن
..
كالسكين
خروجك السلس
من الحكاية
..
كالسكين
حاد ولا يسع خطوتي
طريق الرجوع هذا..

انعكاس الصورة، على كأس متسخ

أمد أذرعي في زوايا العالم
هل أنا عنكبوت؟
لا خيوط عندي
عندي انتظار الوقوع
عندي وهن المصيدة
أمد أذرعي لا كالمصلوب
ولا كالرجل الفيتروفي
لا أحصل على شيء
لا أحصل على شيء
قبضتي جمرات
بيتي يحترق
قصيدتي الكرة المجوفة،
أنا فأر السيرك
قولي للقدر يمد يده
ليقع العنكبوت

ليرى البعيد يرحل
ليرى التائه يصل
ليرى المهتز يتوقف عن الاهتزاز
أمد يدي في زوايا العالم
أعمى يتحسس الفراغ
لقد طردتني الريح،
ها أتقلب في ضحكة
تمضي نحو كهف من الأسئلة.

وجه غريب، يعادل مرآة

اليوم رأيت الحزن، كان طويلاً وبلا ظل. لم تثر فيّ رؤيته عاطفة ما، كأني رأيت غريباً ولم أنتبه. لم يبد هو الآخر أن شيئاً أثير فيه، فرك لحيته وهو يحدق في وجهي؛ ليس كمن يتذكر، إنما كالذي يفكر في أمر بعيد ثم مضى..

بعد أن اختفى تماماً تذكرت، ليس الحزن، وليست العاطفة، تذكرت الشحاذ العجوز الذي حين كان يأتي إلى قريتنا، يطرق الأبواب كلها، أما بيتنا فيدخله دون استئذان، يجلس مطولاً مع والدي ويتساران، ويخرج دون أن يأخذ شيئاً.

كان حينها هو أيضاً يلتفت لي، ويفرك لحيته ويفكر، مثله تماماً.. أما أنا فأسأل نفسي، دائماً: لماذا هذا العجوز من دون ظل؟

مرآة حمام البيت

اليوم هو اختبارك، ليس الأمس أو الماضي،
حيث التفاتة حنين، أو زفرة راحة،
ليس الغد أو المستقبل، وما فيهما إلا فراغ كأس
يملؤه القدر أو التذكر
اليوم اختبارك،
اليد الرطبة قابضة على الساعة،
اليوم حيث لا تفاصيل، ولا هلاوس،
اليوم حيث ما يكون فيه يختصر في طرفة عين،
اليوم عليك أن تعيشه
وما إن ينقضي، وتعرف أنك لم تفلت من قبضته،
لم تنفرج قضبانه عن ضوء؛ حتى تتركه خلفك،
أثراً يرشد الذاكرة إلى الوهم،
فتاتاً تستدل به عجلات الزمن الذاهبة في المجهول.
اليوم حيث لا شيء يحدث،
لا الزمن حبل مشنقة يصير،
ولا المكان ورقة تلوكها الريح التي مضت
آخذةً صورتك.
اليوم
أيها الوحيد كتمثال أبيض،
لم يتحرك فوقه ظل.

وحل

الحقيقة أني هربت، من يغمض عينيه بدلاً مني؟ من يقترح على الحياة قسوة مغايرة؟ لو التقينا، أنا وأنتَ وكل العابرين في نفق هروبنا هذا، لو التقينا مرة صدفة، في بياض مفتوح مثل لطمة مفاجئة، لاعترف أحدنا للآخر، لا أخطاء لنندم عليها، ولا مرايا لنحرفها عن الضوء، أيدينا المتعرقة في أيدي بعض، وليس علينا أن نخمن، أنا وأنتم، طابور طويل من السكاكين والخناجر، وسلسلة طعنات لا تحصى، لذا لو التقينا صدفة، في مصعد كبير مثل حلم، لصمتنا جميعاً، ونحن نحدق للأعلى، حينما الأسرار تنتقل من أحدنا للآخر بالعدوى، يقول أحدنا في سرّه: ليتني خرجت من الغبار. آخر: كان الدم مستوردا وكنت أنت الضحية. آخر: جواز سفري مزور. آخر: الحلم ضيق، وأصابعي حادة. آخر: على الموت أن يلتفت للخلف الآن. آخر هو أنت: الحقيقة أني هربت.

مرآة، زجاج، عيون

أمام البحر
وفي هذا الجو الرطب والبارد
سأفتح يدي كنبي
أو ممثل يؤدي دور نبي
كذلك فمي سأبقيه مفتوحاً
حتى يملأ صدري الهواء الرطب
وأصاب بالبرد
وسأسعل مثل موجة
حتى تطنّ في أذني نحلة ساخنة
ومن يدي المفتوحة
ستخرج القبل كلها
التي ظننت أني تركتها على شفتيك
ومن فمي المفتوح
لن يخرج قليل من الهواء
سأحاول أكثر، ولن أستطيع
أختنق ولا أستطيع، لن يخرج هواء
سيحمر وجهي
وأسقط على الرمل المبلل
ولن يخرج من فمي هواء

وحين سيجدونني، ستكون علامة الاستفهام الكبيرة تسد فمي، والقبل التي ظننت أني تركتها على شفتيك تروح وتجيء، مع الموج البارد، أمام البحر.

ترجمان الأشواق

نص: أحمد السعيد

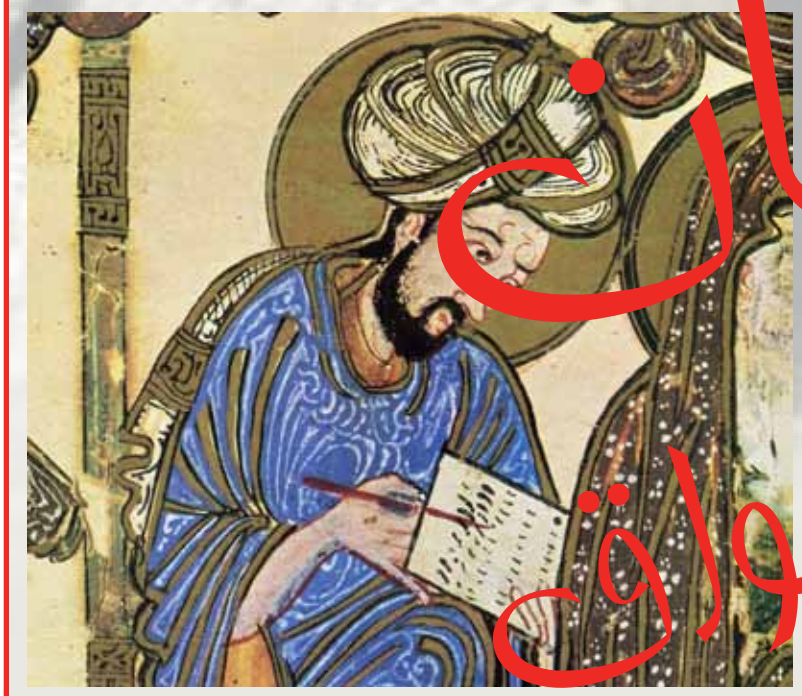

على خديكِ تَطوفُ النُّجومُ
كأنّهما فَلَكٌ
وإنّي عاشقٌ ضوءيهما
يا لعَينيكِ قَمرينِ
وإنّي كَوكبٌ
لا يَدوران عليَّ
بل أنا حَوليهِما

فلتفيضي مِن جَمالِ الوَجدِ
ما فاضَ عليكِ
مِن سَحابِ الله
أمطاراً
لأُروى مِنهُما
ألستِ تَدرينَ
بأنّ الوَجد إن فاضَ عَليَّ
تتوارى الكَلماتُ
وتَجُفُّ أَحرفُ التّاريخِ
واللُّغَةُ الأمُّ تُصبِحُ نسياناً
وأهوي مِنهما

قالَ شيخي
إذا اتسعَ المعنى
ضاقت العِبارة
وعِباراتي لا تَعبُرُ البَحرَ

مِنَ العَقلِ إلى العَقل
وأسمالي تُهرِئها الرِّياح الذاريات
ونُجُومي لم تعد رجومًا للشياطينِ
ففي الضِّدين
أراكِ وأراني
واصطفاني واصطفاكِ
وبقينا نركبُ الزّورق المثقوبَ
لكي ننجوا من سلاطين السماءِ
وسُرّاق الضمائر
وفَسادُ الحالمينَ الطامعين
ليَ الحاضرُ
ولي أنتِ
وكلامُ الله
عندما أوقفني
وقال:
عِش وسالم كل مَخلوق وخالِق
ولا تقتُل بأسمائيَ أسماءً
ولا تتبع النُساكَ
وتَقليدَ الرِّجالِ
ولا هَديَ الدَّوائر

سيدي
كُلَّ ما شِئت هنا
لا كما أَخبرتني

فهل اخترت رِجالك؟
أم تُراك
عندما قَررت خلقي اخترتني؟
ثُمَّ صار العَقلُ مخلوقًا وخالِق!
أم تُراكَ اخترتَ
أن ترقُدَ في صمتٍ؟
وأصبحنا مِثلَ ذرّاتِ الهواءِ
تتهادى نحو مائك
سيدي!
قُلتَ لي:
لا تَقُل لي سيدي
فالحَبيبُ النِّدُ لا الضِّدُ
والعَبدُ والسَيِّدُ ضِدانِ
وإنّي مُتّحد
مثلما أنتَ تراني
هاأنا صِرتُ أراك
فإذا حِدتَ أَحِد
فاتَّحِد بي
لترى مائي هواءً
وترى الأرضَ سماءً

واحة الفكر

رسالة استقالة إلى جمعية الصداقة الصينية-الفرنسية

الصيـن بعـد مـاو

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

(في 11 مايو 1977 سلم شارل بيتلهايم رسالة استقالته لجمعية الصداقة الصينية–الفرنسية التي كان يترأسها. يحلل بيتلهايم في هذه الرسالة، بشكل عام ، مجرى الصراع الطبقي في الصين بعد رحيل ماو تسه تونغ؛ وعلى ذلك لاحظ – بشكل مبكر – بأن الحاصل في الصين هو الرِدة إلى النظام الرأسمالي) .

الأصدقاء الأعزاء،

تعلمون بأن الأحداث التي تلت وفاة الرئيس ماو شكّلت مصدر قلق شديد بالنسبة لي. فمثل العديد من أصدقاء الصين توجستُ الخطر الذي يحوم حول مستقبل الاشتراكية في الصين منذ اعتقال القادة الأربعة الذين لعبوا دوراً محورياً في الثورة الثقافية، كما أن جميعهم – بإستثناء تشيانغ تشنغ– حظوا على ثقة ماو تسه تونغ.

لا يمكن أن تعدّ التهمة الموجهة لهؤلاء الأربعة، القائلة بأنهم حاولوا أن يقودوا إنقلاباً على النظام، تهمة مقنعة على الإطلاق. نحن نعلم، في العادة، بأن الزمر التي تنجح في قيادة إنقلاب على نظام ما غالباً تتهم القادة القدماء بمحاولة الاستحواذ على السلطةً عن طريق القوة.

إن مخاوفي وشكوكي تشتد عند العواقب السياسية لهذه الأحداث خصوصاً بعد أن قام اثنين من القادة المعتقلين، ياو ون–يوان وتشانغ تشون–تشياو، بمساهمات هامة – رغم أنها غير مكتملة – لتحليل الأساس الطبقي للرِدة الرأسمالية في الصين.

... إن الطريقة التي تمّ فيها "نقد" القادة الأربعة، ولا يزالون إلى يومنا هذا يتعرضون له، لا تمت بصلة إلى تعاليم الرئيس ماو. في المواد المنشورة ضد هؤلاء الأربعة لا نجد تحليلاً ماركسياً، بل – بالأحرى – لا أكثر من القذف والتشهير؛ وهذا المستوى الهابط لا يبين سوى عدم قدرة القيادة الحالية للحزب الشيوعي الصيني على حمل أي نقد جاد للخط السياسي التابع للقادة الأربعة.

تحمل الحملات المضادة لهؤلاء الأربعة تهماً لا تنطبق عليهم، بل إنها –على العكس– تنطبق على ممارسات القيادة الحالية نفسها! نقرأ بأن «تزييف» الصور، التزييف المنسوب للقادة الأربعة، تثبت بأنهم كانوا في مثل الوقت «متآمرين منحطين وانتهازيين متعطشين لسلطة الدولة والحزب». بلا شك لا بد من إدانة تزييف الصور، لا وبل كل أشكال تزييف الحقائق التاريخية؛ لكن هذه الممارسات هي الطاغية عند القيادة الحالية، وهذا واضح في عددي نوفمبر– ديسمبر 1976 لمجلة (الصين تنهض) حيث ظهرت الصور المزيفة علناً.

التهم الموجهة ضد الأربعة تنكر كل مقومات الماركسية. على سبيل المثال، التوبيخ الذي ناله تشانغ تشون–تشياو لمحاولته حمل تحليل طبقي للمجتمع الصيني الحالي ورغبته في تطوير الماركسية لا يعبر سوى عن إنكار صريح للاشتراكية العلمية وتحريفية تبشر بثورة مضادة.

أما التهم الأخرى فهي غير واقعية أو، إن قبلنا بها، ستجعلنا جدياً نشك في أخلاقية أسلوب حياة الكوادر القيادية للحزب الشيوعي الصيني. مثل إتهام القادة الأربعة بأنهم لا يدفعون لوجبات الطعام في المطاعم التي يرتادونها؛ أو الرسالة المزعومة التي ارسلت إلى تشاينغ تشنغ بشأن «الفستان الامبراطوري" الذي قامت بطلبه.

أخيراً، ثمة تهم لا تعدو كونها مبالغات تشوه الوقائع؛ إنها لا تتعدى كونها تزييفاً صريحاً. هكذا، في الأشهر القليلة الماضية قالت الصحف والمجلات بأن الأربعة عاشوا حياة بورجوازية انتهازية وفاسدة. تكتب الصحف والمجلات بأن وانغ هانغ – ون هو ممثل نموذجي للبورجوازية الجديدة؛ كما أنها تقول بأن الأربعة كانوا أشبه بملّاك الأراضي وبورجوازيين، وبالتالي كرّسوا حياتهم كلياً للطريق الرأسمالي. إنهم يحاولون إظهارهم كأعداء الحزب الشيوعي، والطبقة العاملة، والشعب الصيني بأكمله؛ كجواسيس، وتوابع للأطراف الأجنبية، ومستوردي الأدوات المطلوبة للعملاء السريين، بالإضافة إلى استيراد السلع المرفهة. تكتب هذه الصحف والمجلات بأنهم بددوا أموال الدولة بغية الإضرار بالتراكم الاشتراكي لإشباع رغباتهم المادية. كما إنها اتهمتهم بكونهم عملاء الكومينتانغ.

إن كانت هذه التهم صحيحة وواقعية فذلك سيجعلنا نشك في مقدرات القيادة الحزبية وفي يقظة ماو. في هذه الحالة، سيكون علينا أن نتوقع بأن بعض أو كل القادة الحاليين يعلمون كعملاء الكومينتانغ و»يتجسسون لصالح العدو».

لكن إذا كانت هذه التهم غير صحيحة، كما أعتقد أنا شخصياً، فإنه من المستحيل أن نثق بقادة يعملون على خداع الشعب عبر تصفية المعارضين لهم؛ لا عبر اللجوء إلى تفسير أسس الخلافات، بل عبر اللجوء إلى القذف والهجوم.

في ظل هذه الظروف، لا يسعنا سوى أن نستنتج بأن الوفاء الظاهري للخط السياسي التابع لماو تسه تونغ عند القيادة الجديدة هو لا شيء سوى غطاء يهدف لتمويه خط مناهض له. في الواقع، حين تفحصتُ النصوص المنشورة في الصين في الأشهر الماضية، بالإضافة إلى ملاحظة ما يحصل في الممارسة الفعلية، استنتجتُ بأن الخط التحريفي هو الذي يتنصر حالياً. فإن الحزب تخلى عن نقد تينغ هيساو بينغ، فنسمع دعوات ترجع الأولوية للإنتاج بدلاً من الثورة. كما أن مبادئ مثل النظام والإنضباط تمّ التشديد عليها، وهكذا يخسر الشعب حقه في التعبير عن رأيه الصريح، ناهيك عن حقه وواجبه في التمرد على السياسات البورجوازية. أما القضايا المتعلقة بوضع المرأة في الانتقال الاشتراكي فتمّ إنكارها تماماً؛ ولا نجد أي مكان للصراع ضد الحق البورجوازي. كما أن قضية تواجد البورجوازية في الحزب الشيوعي نفسه تم تفاديها تماماً، وتمّ استبدال الصراع الطبقي بالصراع ضد القادة الأربعة.

باختصار، نقد هؤلاء الأربعة يعبر عن موقف تحريفي لا ثوري، إذ إننا لا نجد أي مكان للتفرقة ما بين الخطأ والصواب في أقوالهم وأفعالهم. وبالتحديد، تمّ استغلال اخطاء هؤلاء القادة لإنكار تحليلاتهم الصحيحة، وهذا المنهج مناهض لمتطلبات المادية الديالكتيكية؛ ويعزز هذا، بدوره، الأفكار البورجوازية.

إن ما نراه يحصل في الصين يؤكد النزوع نحو التحريفية في السياسات الحالية: فضوابط المصانع أصبحت قهرية وقمعية شيئاً فشيئاً. كما إنه تمّ عملياً التخلي عن سياسة الباب المفتوح في مجال التدريس. معنى هذا هو بينما تقوم القيادة الحالية بتمجيد الثورة الثقافية في أقوالها فإنها في حقيقة الأمر تلغي كل ما حصدته الثورة الثقافية.

أما بالنسبة للسياسة الخارجية فإنه تمّ التخلي عن مبدأ الصراع ضد القوتين العظمتين في العالم –الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي – ليحل محله مبدأ الصراع ضد الامبريالية السوفيتية وحدها. نتيجة لذلك اختفت الإدانات الموجهة للإمبريالية الأمريكية بشكل تدريجي؛ فإن تدخلاتها أو تدخلات حلفائها في حياة الشعوب الأخرى أصبحت في أعين القيادة الصينية الحالية كأفعال «إيجابية». هذا واضح في حالة الأحداث التي حصلت في زائير. حين تتجابه قوتان امبرياليتان وجهاً لوجه أنه من غير الصائب أن تختار أن تقف في صف واحدة منهما ضد الأخرى. هكذا، الممارسات الدولية الحالية للحزب الشيوعي الصيني تضر بصورة ومكانة الصين عند شعوب العالم، وبالتحديد شعوب العالم الثالث. في الواقع، هذه السياسات تنصب مباشرة في مصلحة الإشتراكية – الإمبريالية.

هذا هو حكمي الذي أنا مضطر أن أتبناه وفقاً للحاصل في الواقع الصيني الآني. لا نملك العديد من المعلومات لنعرف بالضبط مقدار قوة الأطـراف المناهضة للخط السياسي الحالي. بلا شك هذه الأطراف موجودة، وهذا ما تشهد عليه درجة الممارسات القمعية الحاصلة في الأشهر الماضية. إنه من المستحيل التنبؤ تحت أي ظرف، ومتى بالضبط، سترجع الصين إلى خطها الاشتراكي ثانية.

التقدمي

التقدمي العدد 159 ـ فبراير 2021 السنة التاسعة عشر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

أستجديني أن أطير

بتول حميد

مرهقة وحزينة
كما لو أنني خرجتُ من تنور الخلْقِ
بجناحٍ واحد..

خففتُ بدمعي ثقل الذكريات
مرنتُ لساني مراراً على الأغنيات
وعلى كتفي علّقتُ آلاف
القصائد..
جففتُ أيامي المبللة في
ثبات
عواصف القلب لا
تمنحني الوسيلة..
أكتب بجسارة الموت عنواناً
للحياة
وأرسم بالأوهام أخيلةً هزيلة..

حزينة وموسيقى الريحِ
تجرح كبريائي
يهزمني زفير المصير
مكسورة الريش
أطوي سمائي
أستجديني أنْ أطير....
ولا أطير..
في أمان الخوْفِ يطعنني التمرد
والشعر نقمة حلمٍ في دمائي

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com